١٠٩٣

1093

حب

HARLEQUIN

دار م. النحاس

حب في الطائرة

ماري فيراريلاي

www.elromancia.com

مـــرمـــوريـــة

حب في الطائرة

ماري فيراريلاي

حصل فرانك هاريغاين على عطلة مخيفة، فلقد أضاع تذكرة السفر، واضطر للهبوط ولفقدان الاتصال بالجميع.

لكن عندما تعرفت صاحبة الطائرة الجميلة دونا ماكلوف عليه. نسي كل حظه العاثر.

كانت دونا ارملة ولديها ولدين، وترفض ان تقيم اية صداقة مع ذلك، لم تستطع ان تترك فرانك ينام في المطار، لذلك اصطحبته إلى بيتها. ولقد شاءت الظروف، ان ضيفها الوسيم لم يغادر لا في اليوم التالي... ولا في الأيام القادمة.

سوريا: ٦٠ ل.س - الكويت: ٧٥٠ فلس - البحرين: ١ دينار - قطر: ١٠ دراهم - السعودية: ١٠ ريالات - الامارات: ١٠ دراهم - الاردن: ١,٥ دينار - المغرب: ٨ درهم مغربي - سلطنة عمان ١ ريال - تونس: ٢ دينار

عليك الخروج اكثر معي.

قال فرانك مازحاً. شعرت دونا بحلقها يجف. كان يجلس قريباً منها، حاولت ان تتذكر الوعود التي قطعتها على نفسها. «لا أريدك ان تكون فكرة خاطئة...»

«لم اكون اية فكرة بعد، لكنني اعمل على ذلك.»

شعر بالشوق كما لم يشعر بذلك من قبل، كان ذلك شيئاً مميزاً، فكر انها هي بلا شك انسانة مميزة.

حاولت دونا السيطرة على نفسها، وبتصميم قوي ابتعدت عنه اكثر ما تستطيع على المقعد الوثير الذي كانت تجلس عليه. لم تتمكن الا من الابتعاد عدة سنتيمترات، لم تكن مسافة كافية لتحميها من عواطفها.

ماري فراريلاي

ولدت في أوروبا، ونشأت في مدينة نيويورك وهي تعيش الآن في جنوب كاليفورنيا بسعادة مع ولديها النشيطين وزوجها الرائع. اكثر ما يسعدها ان تحقق احلامها بالكتابة المتواصلة.

عبير ١٠٩٣

Abir 1093

حب في الطائرة

ماري فراريلاي

دار
مؤسسة النحاس
للطبع و النشر و التوزيع
بيروت - لبنان

www.elromancia.com

لنتبه ألا تبتاع هذه الرواية من غير غلاف لأنها قد تكون مسروقة، فيجب إبلاغ الناشرين لأن الكتاب الذي لم يبع، يجب إتلافه. فأي من الكاتبة أو الناشرين لم يتقاضوا ثمناً لهذه النسخة المسروقة.

العنوان الأصلي لهذه الرواية بالانكليزية:

MOTHER ON THE WING

Copyright © by Marie Ferrarella 1994

ISBN 0-373-19026-3

Mills & Boon first edition October 1994

عنوان الطبعة العربية الأولى عن دار م. النحاس

حب في الطائرة بقلم ماري فراريلاي

ترجمة: إيمان ريدان

سلسلة عبير ١٠٩٣

حقوق النشر باللغة العربية محفوظة ومحصورة في جميع البلدان لدار م. النحاس لتوزيع الصحف والمطبوعات – بيروت (دار م. النحاس) بترخيص من هارلكوين انتربرايزس ليمتد (Harlequin Enterprises Limited).
جميع الحقوق محفوظة. باستثناء استعماله في أي مرجعية، يمنع استنساخ هذا الكتاب أو استعماله كلياً أو جزئياً بأي شكل وبأي جهاز من الأجهزة الالكترونية أو الميكانيكية أو الوسائل الأخرى، المعروفة الآن أو التي يتم في ما بعد اختراعها، بما في ذلك الوسائل الزيروغرافية والتصوير والتسجيل أو تخزين أي معلومات منها أو استعادتها بأي جهاز من الأجهزة، من دون الحصول على إذن من الناشر.
كل شخصيات هذا الكتاب ليس لها وجود خارج خيال الكاتبة، وليس لها أية علاقة بأي شخص قد يصدف ويتشابه اسمه مع أحد الأسماء في الكتاب ولا تستند شخصيات الكتاب، أو الأسماء التي تحملها إلى أية شخصية تعرفها، أو لا تعرفها الكاتبة، بل كل أحداث الرواية هي من نسج الخيال الصرف.

العنوان: دار م. النحاس لتوزيع الصحف والمطبوعات. بيروت. لبنان شارع فردان بناية رضوان الطابق التاسع: ص.ب: ١١/٩٧١٨ – فاكس: ٧٤٣٦٣١ (٠١) – هاتف: ٧٤٣٦٣٣ – ٧٤٣٦٣٤ (٠١) – ٢١٦٢٩٣ (٠٣)

عزيزي القارىء

يسعدنا أن نعيد إليك سلسلة عبير التي طال غيابها عن ساحتك الممتعة، وهي إذ تطل عليك من جديد بحلتها الكاملة لتضفي برونقها المميز شغفك للقراءة وحبك للمطالعة.

ونحن، إذ نعيد اليوم هذه السلسلة الى مسرحها السابق، نعدك بانتظام اصداراتنا من عبير بمعدل ٥ روايات شهرياً لتكون سلواك في أوقات متعتك الخاصة.

كما نعدك ببذل الجهد المتواصل من أجل إطلاعك دائماً باللغة العربية على أحدث ما يصدر في هذه السلسلة العالمية وعن لغة الأصل: الانكليزية.

إن رفع وتيرة الاصدار والزيادة في تنويع المواضيع وألوانها إنما هما هاجسنا الدائم.

ولا تنس يا عزيزي القارىء أن طبعة عبير هذه التي أردناها لائقة بك وبذوقك، إنما هي النسخة الأصلية.

وقوفك إلى جانبنا، إنما يعبر عن اخلاصك لنفسك وذوقك وحرصاً على وقتك الذي نوظفه لك في مجال أدبي ثقافي، مفيد وممتع.

إن وقوفك معنا يوفر لنا الدعم والمناخ اللذين لا بد منهما للمضي قدماً في رحلة العطاء الدائم والتجدد والتنويع...

الناشر

الفصل الأول

كانت الرحلة تتعثر في كثير من المطبات الهوائية، كما وأن الطائرة ليست من نوع طائرات ٧٤٧، بل طائرة من نوع «أت ر ٤٢» تعود إلى خطوط طيران غريبة تدعى واندسونغ، أحس أنه محظوظ جداً بالحصول على مقعد في داخلها، وإلا، كان عليه تأجيل رحلته إلى سيتل.

لم يكن فرانك هاريغاين على عجلة من أمره. فللمرة الأولى ومنذ سنوات عديدة يحصل على عطلة. فعادة لا وقت لديه لأخذ عطل. لكنه لم يستطع مقاومة الاحساس الذي انتابه من تلك الدعوة الطارئة.

لم يكن يفكر أبداً في الابتعاد عن عمله لولا رسالة غريغ، التي وصلت إليه وكأنها تلبية لنداء داخلي منه.

منذ ثلاثة أيام، وصلته رسالة من غريغ والترز، صديق قديم فقد كل اتصال به منذ أن تخرج وعاد للعمل في العيادة في ويلمنغتون فولز. تدعوه الرسالة للذهاب على جناح السرعة لسيتل في زيارة، لرؤية تلك المنطقة ولاعادة احياء الصداقة القديمة.

كانت الرسالة مليئة بالذكريات وكأنه لم يمر خمس سنوات على آخر لقاء لهما.

لم يكن لفرانك أية فكرة عن الموضوع، لكن ما ان أمسك برسالة غريغ في يده، حتى شعر فجأة بالرغبة في السفر إلى سيتل. كان الامر فوق توقعاته وكأنه مجبر بقوة لا يستطيع دفعها لدرجة علم أنه لا يستطيع الرفض.

علم أيضاً أنه لن يجد الامان في فكره قبل أن يذهب. وانه سيندم لو لم يفعل. وكأنه يجبر للقيام بتلك الرحلة رغماً عن ارادته.

اهتم بالأمر بجدية، عندما بدأ بأخذ التدابير للقيام برحلته إلى سيتل.

اتصل بغريغ، الذي فرح جداً بسماع صوته. فوضعا الخطط معاً.

فبإمكان فرانك السفر إلى سان فرنسيسكو وأن ينتقل إلى طائرة ثانية تقله إلى سيتل. كما أن غريغ سينتظره في المطار.

لقد بدا الأمر بسيطاً جداً. كما هو سريعاً كذلك.

انتظر فرانك حتى غادر آخر مريض العيادة عند المساء قبل أن يخبر شقيقته بأمر سفره. نقل الاخبار إليها وكأنه يحدثها عن شراء زوج من الاحذية له.

تفاجأت جاين ووضعت يديها في جيب معطفها وأخذت تنظر إلى شقيقها بصمت لفترة قصيرة. كان يكبرها بثلاث سنوات، قوي وثابت كالجبل، ولديه مفاجآت غير متوقعة، ومنها هذه اللحظات.

مع أنه، يعمل منذ وقت طويل وبجد وهي تعلم أنه يستحق بعض الوقت للراحة. بالنسبة لهما، إنهما الشخصان الوحيدان اللذان يؤمنان الخدمات الصحية في مساحة تزيد عن عشرين ميلاً وكل شخص في ويلمنغتون فولز يأتي إليهما أن أصابه أي مكروه.

«لقد كنت أفكر، انه يمكنك الذهاب إلى لاس فيغاس، التي تمتاز بجمال ورشاقة فتياتها.»

ضحك فرانك: «يبدو الأمر مغرياً، لكنني لا أعرف أحداً في لاس فيغاس.»

كان شقيقها اجتماعياً، قالت جانين وهي تضع يديها على طاولة المكتب: «اذن، قل لي، هل أنا قابلت يوماً ذلك الشخص غريغ؟»

«لا أعتقد ذلك، لقد كان شخص أعرفه عندما كنت في الثانوية. ولقد شاركت معه غرفة في الجامعة.»

ضحكت جانين قبل أن تقول: «كما أنكما تشاركتما بعدة نشاطات أخرى، على ما أعتقد.»

هز كتفيه، محاولاً أن يرتاح بعد يوم عمل متعب، قال: «لا أستطيع عدم الرد عليه، بعد أن فقدنا أي اتصال ببعض منذ خمس سنوات. كما أعتقد أنني بحاجة إلى عطلة.»

هزت جانين رأسها: «لا شك بذلك.»

وماذا هناك أكثر، فقد كان دائماً يعتمد على مساعدة شقيقته: «متى تريد المغادرة؟»

«نهار الجمعة.»

لاحظ علامات الدهشة على وجهها مرة ثانية: «قريباً جداً؟ لما كل هذه السرعة؟»

قال بصدق: «لا أعرف، فقط أشعر أنني أريد الذهاب.»

فكرت جانين، انه يبدو غامضاً جداً، وهذا ليس من عادته، فهناك دائماً قواعد لتصرفاته، وهذا جزء هام من شخصيته الساحرة، عقدت ذراعيها أمامها. لا بد من وجود سبب لذلك. فحتى عندما كان طفلاً، كانت هناك أسباب لأي عمل يقوم به.

«لم أفهم شيئاً.»

خلع فرانك المعطف الأبيض وعلقه في الخزانة الصغيرة في مكتب جانين. التقط قطعة الخشب التي حفر عليها اسم شقيقته بنفسه عندما تخرجت من جامعة الطب. جانين هاريفين ماجستير في الطب.

حاول أن يجد الكلمات ليشرح أحاسيسه وأفكاره لها وكذلك لنفسه: «هل تعلمين كيف أن الانسان يشعر باحساس داخلي حول بعض الامور؟»

أثرت كلمة الاحساس الداخلي بجانين بشكل قوي ـ كان ذلك نداء عاجل ـ احساس قوي، سيطر على كل تفكيرها ودفعها للذهاب إلى البحيرة ذلك الصباح حيث التقت بزوجها، شاين للمرة الأولى.

لقد مر أكثر من سنتين على ذلك اليوم، لكنها لا تزال تذكر احساسها بوضوح وكأنه حدث معها في هذا الصباح. لقد شعرت وكأن لا ارادة لها بذلك.

من حسن حظها انها استجابت لذلك الاحساس. فلقد حظت ابنتها مولي بوالد، وهي لديها الآن أفضل زوج وطفل صغير يحبونه جميعاً. لقد اطلقوا عليه اسم جوناثان، نسبة لعم شاين جوني.

قالت بنعومة: «نعم، اعلم.»

كان فرانك غارقاً في افكاره فلم يلاحظ تغير لهجة شقيقته.

«حسناً، هذا هو الأمر، وكأنه هناك من يقول لك، اذهب أنت إلى هناك وهي ستأتي إليك.»

رفعت جانين رأسها إليه: «هي؟»

نظر فرانك إليها بغموض: «هي؟ هل قلت هي؟»

«بالتأكيد قلت ذلك.»

هز رأسه، كان ضائعاً في تفكيره، قال بسرعة: «لقد قصدت هو. غريغ من يمكن أن اعني غيره؟»

ابتسمت جانين له بحب: «إنك تتعب كثيراً.» اقتربت منه وقبلت جبينه: «اذهب. اذهب إلى سيتل مع كل تمنياتي بالتوفيق والسعادة.»

فكر فرانك، هذا ما قام به وهو يجلس براحة في المقعد. لقد استقل الطائرة من مطار ريفردايل وسافر إلى سان فرانسيسكو بدون أن يواجه أية صعوبة. لكن بعد ذلك فقد تذكرة السفر لرحلته التالية كما وأن الموظف المسؤول لم يستطع الحصول له على حجز آخر وبذلك غادرت الطائرة من دونه.

وقف محبطاً في المطار، وبصورة غير متوقعة لاحظ على لوحة الوصول والمغادرة، أن هناك رحلة إلى سيتل في غضون نصف ساعة. لم يصدق ضربة الحظ هذه.

نظر فرانك إلى جانبه، لم يكن هناك أحد بجانبه، فأخذ ينظر من النافذة الصغيرة الى الفضاء الواسع خارجاً. لاحظ أن الظلام يهبط وأن الغيوم تأخذ أشكالاً غريبة وتذكره بالاشجار الصغيرة.

فكر أنهم بلا شك يسافرون على علو شاهق، ابتسم لنفسه. وفي اللحظة التالية، لاحظ أن الغيوم قد اختفت.

• • •

كان بإمكانها الاحساس بالاعاصير قبل حدوثها بلحظات. فبعد مرور عشر سنوات في عملها أصبح لديها

حاسة وإدراك بحالة الطقس. شعرت دونا ماكلوف أن تبدلات في الحالة الجوية ستحدث.

لقد وعدهم مكتب الاحوال الجوية بيوم صاف جميل. قالت، لا يعلمون إلا القليل، فليسوا هم إلا عدد من الرجال يحملون شهادات في المتورولوجي ولوح كبير لتسجيل عليه ما لا يعرفونه.

أخذت تدعو بهدوء، متمنية أن تنتهي الرحلة من دون أن يتعرضوا لحادث ما. فهي مجازة في الطيران، لكنها نادراً ما تقود الطائرة هذه الايام إلا إذا تخلف عن القيادة أحد الطيارين المتعاقدة معهم. لكن اليوم أمر مختلف فها هي عائدة من حفلة زفاف لصديق قديم انتقل إلى سان فرنسيسكو. دائماً حفلات الزفاف تثير عاطفتها وحزنها.

كذلك الاعاصير تزيد من قلقها وتوترها.

لا تستطيع دونا الانتظار حتى تصل إلى سيتل. فلقد اشتاقت كثيراً لولديها. لقد مر فقط يومان على مغادرتها لهما، لكنها تشعر وكأنها لم ترهما منذ سنة.

ربما بسبب اقتراب ذكرى وفاة طوني، فكرت وهي تشعر بذات الالم الذي تحسه عندما تتذكر زوجها السابق. عندما تفكر كيف فقد حياته القصيرة وبدون سبب هام.

هذا هو السبب، فمنذ وفاة زوجها منذ سنتين، وهي تحسب الحياة عدوة لها. وكل ساعة تمضيها بعيدة عن ولديها تايلور وستيفن تشعرها بالاسى وكأنها لا تعوض.

بدون أن تشعر، لمست القلادة التي تضعها حول عنقها والتي تحمل صوراً لولديها. عادت أفكارها إليهما وتنهدت. فلقد تركت تايلور الاربعاء وهو يشعر بتوعك.

كما وأنها اتصلت بشقيقة زوجها عندما حطت الطائرة في سان فرنسيسكو لتسأل عنه. لقد تكلمت معه، أيضاً لكنها لن تشعر بالسعادة إلا عندما تصل إلى البيت وتراه مع أنه أصبح الآن في الحادية عشرة من عمره وكما قال لها: «أصبحت كبيراً لأمرض بسبب زكام بسيط، ماما.»

ابتسمت بحزن. فهي لا تزال تتذكر كم كانا صغيرين منذ فترة قصيرة. مع ذلك، أصبحت الآن أفضل بكثير، ما زال عملها يبعدها عن أولادها أكثر مما تريد. ولقد مر عليها وقت قررت فيه بجدية أن تترك عملها هذا وتلتحق بأي عمل لديه وقت محدد من التاسعة صباحاً حتى الخامسة بعد الظهر، كأي موظف عادي. وبذلك تنتهي من الصداع الذي ينتابها عندما يعلن قائد الطائرة عن تأخر الوصول، وتنتهي أيضاً من مشاكل الطقس ومشاكل المسافرين الذين يتوقعون من طائرة صغيرة لا تتسع لأكثر من ستة عشر راكباً أن تطير براحة ودقة كطائرات ال ١٠١١.

بجانب ذلك، وحتى الآن، لم تستطع أن توظف أي مبلغ في الشركة. فزوجها طوني، مع كل احلامه الكبيرة، التي دفعته لشراء طائرات صغيرة عرض شركة وندسونغ للرهن العقاري وإلى توقف عملهم. بدأت الفواتير تظهر على باب بيتها مما جعلها تخسر ملكية الشركة. فبعد موت زوجها تركها مع عدد لا يحصى من الفواتير ولا شيء غير عقد اجازة الطائرات وارادتها القوية لتخليص نفسها وأولادها من هذه الورطة.

دفعها ذلك للبقاء لساعات طويلة في المكتب، لايجاد الوسائل التي تمكنها من العمل بأقل كلفة ممكنة، وبذلك

تمكنت في بقاء طائرتها التي تتسع لأربعين مقعداً تسافر يومياً من سان فرنسيسكو إلى سيتل والعودة يومياً. كما أنها تستعمل الطائرات الاصغر حجماً عندما تحتاجها. لقد كانت المديرة المسؤولة عن كل ذلك. لم يكن بمقدورها أن تدفع لأي موظف ما عدا طاقم الطائرة والميكانيكي. وكانت صيانة الطائرات تأخذ كل مدخراتها ولا تبقي لها إلا الحد الادنى للعيش. مشكلتها الاصعب كانت غلاء أسعار الوقود. فلقد كان عمر ولديها، الاكبر في التاسعة والصغير في الرابعة عندما توفي والدهم لذلك وجدت مشكلة كبيرة في تركهم مع الغرباء عندما تبتعد عنهما، لكن لم يكن لديها أي خيار.

في تلك الأثناء ظهرت شقيقة طوني الكبيرة، ليزا، محامية ذات قلب رحوم وكبير، انتقلت للعيش معهم رافضة أن تستمع لأي اعتراض من قبل دونا كما أنها ساعدت في تربية الطفلين ودفع بعض فواتير والدهما. ومعه أتت أيضاً انجلينا مدبرة منزلها والتي أصبحت حاضنة لأطفالها أيضاً.

بطريقة ما، وجدت حياتها تسير على طريق واضح وكأنها ستستعيد هدوءها.

ضربة عنيفة، أثارت قلقها.

فجأة بدأت الطائرة بالتمايل، وكأنها تسخر منها.

لم تحاول دونا أن تمسك بيدها المقعد القريب منها، فهي معتادة على تقلبات الطقس وهي في الطائرة، لكن ما ان فعلت حتى انزلقت يدها وفقدت توازنها. سقطت دونا على مقعد أحد المسافرين. ذات وجه واضح المعالم لاحظت دونا وجوده لحظة صعوده إلى الطائرة: «إني آسفة.»

تلعثمت الكلمات وهي تحاول بسرعة التقاط أنفاسها.

في اللحظة التالية، وجدت نفسها تنظر إلى أكثر عينين خضراوين رأتهما بحياتها. نجح فرانك في اخفاء اعجابه، وبطريقة اوتوماتيكية ضم المرأة التي عملت العاصفة على رميها على مقعده. ردة فعله كانت سريعة، فلقد كانت صغيرة، ذات شعر بني وعينان بلون السماء الصافية. شعر وكأنه لا وزن لها. فلقد كانت رائعة بكل معنى الكلمة.

«انني لست آسفاً.»

علمت دونا أن أفضل ما يمكن أن تقدم به في هذه اللحظة أن لا تجر نفسها إلى حديث معه. لسبب ما، ضحكته زادت من توترها. نهضت بسرعة وهي تشعر بتوتر لم تعهده من قبل. فحاولت اقناع نفسها انها كذلك من جراء الصدمة التي تعرضت لها.

بسرعة حاولت دونا أن تسيطر على الوضع، فلقد توقعت أن المسافرين ينظرون إلى بعضهم بقلق وخوف.

قالت مشجعة: «إنه اعصار خفيف، لا شيء يثير القلق.»

كانت قد تعرفت على عدد من المسافرين. فهي تحب أن تقدم يد المساعدة على متن طائراتها، فاهتمامها الأول ارضاء المسافرين. بدأت تهم بالمسير، لكن الرجل الذي تشاركت معه المقعد كان يبدو أن لديه أفكاراً أخرى. أمسك بيدها، مانعاً إياها من المغادرة. نظرت إليه مستفهمة، متسائلة إذا كان هذا الرجل سيسبب لها أي نوع من المشاكل. كان قد مر وقت طويل على آخر مرة تعرضت لها إلى ازعاج من مسافر.

نظرت في عيني الرجل الذي يمسك بيدها، فعلمت أن ليس هناك من حاجة إلى رافاتري مساعد الكابتن، الذي

كان يقود الطائرة الآن، أن يأتي ليتكلم معه، فلقد كانت نظراته لطيفة ومليئة بالاحترام.

«لم تتعرضي للأذى، أليس كذلك؟»

تفاجأت من سؤاله، وارتاحت قليلاً: «استطيع القول ان لا أحد منا عليه القلق من أجل ذلك.»

ابتسم بهدوء وبساطة، فشعرت وكأنها تعرفه منذ زمن بعيد، قال: «لا أستطيع المراهنة على ذلك.»

كانت تعلم أنه يحاول التحدث إليها، لكنها لن تسمح بذلك. مع أنه يبدو لطيف المعشر، لكنها كانت متأكدة أنه بجماله هذا، فهو معتاد على أن تقع النساء بين أحضانه بطريقة ما. وتساءلت إذا كان يعتقد أنها فعلت ذلك من عمد.

هزت دونا كتفيها: «إذا أصبت بأذى، يمكنك أن تقدم دعوى لدى شركة التأمين. إنني دونا ماكلوف، ويسعد شركة وندسونغ أن تقوم بخدمتك ما أمكنها ذلك.»

بتلك الملاحظة السريعة، سحبت دونا يدها من قبضته.

وبدون أن تعطي المسافر الداكن الشعر نظرة أخرى، تابعت سيرها في ممر الطائرة لترى المسافرين. وبما أنه لا يوجد أي مضيف في الطائرة فإن من واجبها أن تبعد عنهم أي خوف.

كانت تتمنى أن المطب الهوائي الذي تعرضت له الطائرة قد انتهى. لذلك اتسعت ابتسامتها، متمنية أن يشعر المسافرين بالامان والراحة.

قالت سيدة عن يمينها: «هل هذا عادي؟» وهي تمسك بيد ابنتها البالغة العاشرة من عمرها.

«ليس هناك من حاجة للقلق. نحن...» لم تتمكن دونا من انهاء جملتها... شعرت أن أحداً ما يمسك يدها الأخرى. استدارت، وهي متأكدة أنها سترى ذلك الرجل ثانية.

لكن هذه المرة. وجدت دونا نفسها تنظر إلى عينين خائفتين، في وجه دائري لامرأة شابة لم تبلغ العشرين من عمرها بعد. كانت تضع يدها الثانية على بطنها. فلقد كان واضحاً أن المرأة حامل.

«آنسة؟» كانت الكلمة الوحيدة التي تلعثمت بها المرأة من الخوف.

لمست دونا يد المرأة بيدها الثانية بحنان محاولة أن تخلص يدها منها، قالت تشجعها: «لا بأس، سنصل إلى سيتل قريباً، لا تخافي.»

ولشعور خفي داخلها، شعرت أن ذلك لن يحدث.

عضت المرأة الشقراء على شفتيها وهزت رأسها بألم. قالت وكأنها تجبر نفسها على الكلام: «لا، ليس الأمر كذلك... إنني أشعر بألم المخاض... منذ حوالي ربع ساعة.» لم تنهي كلامها بل انهمرت الدموع من عينيها من كثرة الألم، قالت وهي تصرخ: «أعتقد... آه أعتقد، ساعديني، أرجوك...»

شعرت دونا أن قبضة المرأة تشتد على يدها حتى شعرت بنبضها يخفق بسرعة. اهتزت الطائرة ثانية وكأنها متسلق جبال فقد توازنه. كان الاعصار يشتد ويشتد.

آه عندما تمطر.

حاولت دونا السيطرة لابقاء ابتسامتها بارزة عندما نظرت إلى المرأة: «ستكون الأمور على خير ما يرام.»

لكن المرأة كانت شاحبة بوضوح: «لا أعتقد ذلك.» كانت

تنظر إليها بغرابة وهي تتابع: «كنت أعتقد أنه ما زال هناك شهر للولادة.»

مهما كانت تريد المرأة أن تضيفه فلم تستطع ذلك لأنها صرخت من الألم.

نظرت دونا حولها. كانت الطائرة ذات أربعين مقعداً ممتلئة بمعظمها. رأت الاهتمام والفضول بعيون الجميع، لكن لم يعرض أحد مساعدته.

فقالت: «هل هناك من طبيب؟»

بدا الأمر وكأنه مشهد من فيلم سينمائي، لكن الأطباء أيضاً يستقلون الطائرات مثل كل الناس. كانت دونا تأمل أن تجد طبيباً وأن يتمكن من مساعدة تلك المرأة.

ولدهشتها، رأت الرجل الذي كانت بجانبه يتقدم عبر الممر نحوهم. كان يمسك بالمقاعد من الجانبين وكأنه يتوقع تأرجح آخر في كل لحظة.

فكرت دونا بسرعة وهي محبطة تماماً.

«لقد قلت طبيباً، وليس من يريد أن يقوم بدور الطبيب. هل أنت طبيب؟» علمت دونا الجواب قبل أن تسمعه: «لا.»

اذن لماذا يضيع وقتهم؟ هل يسعده أن يرى ألم الناس عن قرب؟

أصبحت ابتسامتها باردة كالثلج وهي تقول: «إذن أرجوك عد إلى...»

قاطعها فرانك: «انني ممرض، هل هناك من مشكلة؟»

نظرت دونا إلى صاحب الشعر الداكن بشك، لكن كانت المرأة الحامل تمسك بيدها بقوة حتى أنها شعرت بأظافرها تنغرس بيدها.

لم تحاول دونا أن تشرح له وضعها: «إنها...»

رأى على الفور الالم والخوف في عيني المرأة: «آه.» كذلك وضعها لم يكن يستطيع رؤيتها من مكانه لذلك اقترب منها أكثر، وعندما تكلم، كان صوته هادئاً ومشجعاً: «هل تشعرين بانقباض؟»

هزت المرأة رأسها وحاولت بشدة أن تجيب: «إن الوقت ما زال باكراً.»

قطع الألم صوتها وهي تقول: «لكنني أشعر بذلك.»

تمنى فرانك أنه ربما الاعصار الغير متوقع جعلها تشعر كذلك، لكنه وضع يده مشجعاً على كتفها، ونظر في عينيها الخائفتين: «ما اسمك؟»

«روز ماري. روز ماري دانجلو.» تنفست بعمق وتركت يد دونا التي كانت لا تزال تمسك بها.

نظر فرانك إلى يدها فرأى خاتم الزفاف سيغرق في لحمها. تساءل أين يعقل أن يكون زوجها في مثل هذا الوقت. لكن هذا لا يهم، المهم الآن سلامتها.

«حسناً، روز ماري، سنعمل على راحتك قدر ما نستطيع.»

نظرت إليه بحيرة وخوف: «هنا؟»

لم تختف ابتسامة فرانك وهو يقول: «إنها طائرة جميلة.» نهض، لينظر إلى دونا. اخفض صوته قليلاً: «هل لديك تجربة سابقة؟»

ارتجفت دونا، فلقد شعرت وكأنها عديمة الفائدة. فهذا شيء لم تتمرن عليه وهي تتلقى التدريبات العملية لعملها، حتى في عهد والدها وأجابت: «لا.»

هز رأسه، مستسلماً: «حسناً، أهم شيء أن لا يغمى عليك.»

نظرت إليه طويلاً، وشعرت دونا أن هناك نوعاً من التحدي بينهما. نظرت إليه باستخفاف: «لا يغمى علي أبداً.»

«حسناً.»

اعصار جديد أصاب الطائرة. أمسكت دونا من دون انتباه بكتف الرجل لتبقى واقفة باتزان وبسرعة انزلت يدها إلى جانبها: «ماذا تريد مني أن أفعل؟»

«ابعدي المسافرين إلى المقاعد الامامية. فلا بد أننا سنحتاج إلى مكان أوسع. وإذا كان لديك أغطية، ضعي اثنين منهم على الأرض واستعملي الباقي كستارة. فانني متأكد أن المرأة تحتاج إلى البقاء بمفردها.» توقف عن الكلام ليبتسم إلى روز ماري مشجعاً: «كم من الوقت بعد حتى نصل إلى سيتل؟»

وكأن كلمته لاقت حداها فلقد سمع الجميع صوتاً يقول: «سيداتي سادتي، قائد الطائرة يتكلم. هناك عاصفة غير متوقعة قادمة الينا، ولقد نصحنا برج المراقبة أن نهبط في لايك فيو، مطار أورجون حتى نتجنبها.»

كان الصوت هادئاً وعميقاً: «هذا أمر عادي فلذلك لا شيء يدعو للقلق.»

فكرت دونا، أن هناك خطباً ما. فمطار لايك فيو ليس المكان الذي يهبطون فيه عندما تواجههم العواصف.

تمتم فرانك وهو ينظر إلى المرأة الشاحبة والتي تمسك بيده وكأنه منقذ لحياتها: «لا شيء يدعو للقلق، من السهل عليه قول ذلك.»

نظر إلى دونا ثانية: «حسناً، لقد وصلني الجواب. فقط احضري الاغطية.»

اومأت برأسها وانطلقت بسرعة. عليها أن تتوقف في غرفة القيادة أولاً. على رافاتري أن يعلم ماذا يحدث هنا. كما عليها أن تعلم ماذا يحدث هناك. استدار فرانك نحو روز ماري. كان مظهره هادئاً وكأنه يجلس في مطعم، يتناول فطيرة من التفاح يضحك ويتسامر مع أصدقائه.

«روز ماري، اسمي فرانك هاريغاين، ولقد عملت على ولادة سبعة وعشرين طفلاً من قبل. وطفلك سيكون الثامن والعشرين.»

ابتسم لها وهو يتابع: «وسيتم الأمر بسهولة مطلقة، ثقي بي.»

نظرت روز ماري بقلق رغم تشجيعه، لكن كان عليها التشبث بأي شيء، عضت على شفتيها: «إنني لست بخائفة.»

أمسك فرانك بيدها: «هذا ما أريد سماعه.»

خرجت دونا من غرفة القيادة وهي تحاول أن تسيطر على مخاوفها، فالاخبار ليست حسنة. وبالاضافة إلى العاصفة، لم يعد في خزان الوقود إلا نصف صفيحة، وهذا أمر مستحيل، فلقد انطلقت الطائرة كالعادة ولم تقطع بعد ربع المسافة، كانت تفكر أن خزان الوقود قد بدأ يرشح لسبب ما. لكنها لا تستطيع المخاطرة، بمجرد التفكير بالبدائل... فهناك حياة جديدة في طريقها للقدوم إلى العالم، لذلك ليس هناك من وقت للتفكير بالموت.

أحضرت دونا خمسة أغطية كانت تضعهم في خزانة خاصة. وضعت ثلاثة منهم على الارض، وعملت مع مساعدة أحد المسافرين على وضع البقية كستائر. كما أن المسافرين ابتعدوا وجلسوا في مؤخرة الطائرة ليراقبوا السماء من النوافذ.

عادت دونا نحو فرانك: «لقد عملت ما طلبته مني.»

هز فرانك رأسه ووقف: «حسناً، ساعديني لأنقل روز ماري.» كانت ركبتاها لا تقدران على حملها، من كثرة الألم. وشعرت أنها لن تستطيع التحرك: «لا أعتقد أنني أستطيع الوقوف.»

عاد الالم يشتد عليها. قال فرانك: «بالطبع يمكنك ذلك، إنها فقط عدة خطوات.» كان صوته مشجعاً ومليئاً بالاهتمام وكأنه يتحدث مع ابن شقيقته البالغ من العمر سنة واحدة.

بلطف حاول فرانك أن يجعل روز ماري تقف على قدميها، وهي تمسك به، صرخت عندما اشتد عليها الألم ثانية، وبسرعة وضع يده على ظهرها.

قال: «تمسكي بي.» اندهشت دونا عندما رأته يرفع المرأة بين ذراعيه.

كان الممر في الطائرة صغيراً، وهو بالطبع ليس مجهزاً لرجل فارغ الطول يحمل بين ذراعيه امرأة حامل. لكن بطريقة ما استطاع فرانك أن يجتاز المسافة بسهولة.

ابعدت دونا الستارة التي وضعتها، وبهدوء وحذر شديدين وضع فرانك روز ماري على الاغطية. ابتسم وهو يقول: «ستتم الولادة بسرعة.»

حاولت روز ماري الابتسامة، لكن كانت تبدو خائفة. أمسك يد المرأة الحامل وشد على أصابعها وكأنه يحاول أن يعطيها بعض القوة منه. سأل بنعومة: «هل هذا ولدك الأول؟»

لم تستطع روز ماري إلا هز رأسها بالايجاب لأن الألم كان يزداد عليها.

بسبب مظهرها الناعم وصغر سنها والخوف الظاهر في

عينيها توقع فرانك ذلك، تابع كلامه وهو يبتسم: «ليس هناك من داع للخوف، إنها أجمل لحظة في حياتك، أنت تعلمين ذلك.»

بدا التعب واضحاً على وجهها: «هل لديك أطفال؟»

«لا، لكن شقيقتي لديها، اثنين. سأنهض لأغسل يداي، روز ماري وسأعود بسرعة.»

عضت روز ماري على شفتيها وهي تسمع فرانك يقول لدونا: «ابقي معها.»

قالت دونا وهي تجلس إلى جانبها: «لم أكن أفكر في الابتعاد عنها.» لم تهتم دونا لأنه يطلب منها البقاء، فهي من تلقاء نفسها ستفعل.

كانت تشعر بتوترها. فالعاصفة هي السبب، واهتمامها بقضية الوقود كما أنها تفكر بولديها. وعدتهما بالعودة باكراً إلى البيت. لكنها الآن ركزت انتباهها على المرأة بجانبها.

أية عطلة، هذا ما فكر به فرانك وهو يراقب المياه تتساقط على يديه. ربما هذا هو سبب حضوره السريع وقبوله دعوة غريغ إلى سيتل.

صراخ روز ماري الحاد جعله يسرع بالعودة إليها. قالت: «أعتقد أن الطفل سيولد هنا.»

كانت دونا تشعر بآلام روز ماري، أمسكت بيدها تخفف عنها ثم نظرت إلى فرانك: «أليس لديك دواء ما لتخفيف آلامها؟»

لم يفكر للحظة واحدة أن يحضر معه حقيبته الطبية. فلم يعتقد أنه سيقوم بأدنى عمل في عطلته هذه. خاصة أنه ليس بطبيب لكنه الآن تمنى لو أنه أحضرها معه.

اوما برأسه نافياً: «لم أعتقد أنني سأقوم بولادة طفل على علو ثلاثين ألف قدم. لكن أعتقد أي شراب مهدىء مفيد.»

«لا يوجد غير القهوة والشاي في هذه الطائرة.»

سمعت صوت رافاتري من غرفة القيادة: «دونا، هل هناك شيء أستطيع القيام به؟»

قالت من دون أن تدير رأسها: «فقط حافظ على توازن الطائرة، يا رافاتري.»

نظر فرانك إلى دونا: «لديك لهجة آمرة وحضور قوي.»

ابتسمت وهي تقول: «لسوء الحظ، حضوري قوي لدى البالغين فقط، فولداي يفعلان دائماً ما يريدانه.»

لقد كانت متزوجة.

لم يدر فرانك لماذا، في وسط كل هذه الظروف الصعبة التي يمر بها، شعر بخيبة أمل من جراء معرفته بذلك.

لكن هذا ما حدث.

الفصل الثاني

لم يكن لفرانك الوقت ليفكر بخيبة أمله، فأمامه امرأة قد تحتضر. كان الألم واضحاً على وجهها، وانفاسها تتلاحق بسرعة. حاولت دونا تشجيعها، وساعدتها لكي تريح رأسها إلى الوراء، كانت تكلمها بذات اللهجة التي تستعملها مع ابنها الصغير ستيفن عندما يهرع إلى غرفتها في ليلة عاصفة.

في اللحظة التالية كانت روز ماري تضع يديها على ذراع دونا والدموع تنهمر على خديها. كانت دموعها تتوسل المساعدة من كليهما.

أبعد فرانك شعر روز ماري الرطب عن وجهها. محاولاً التخفيف عنها قدر الامكان.

اهتزت الطائرة مجدداً وشعرت دونا كيف ان آلام روز ماري تتزايد، وضعت يدها على كتفها مشجعة، تمتمت وهي تنظر إلى فرانك: «ماذا تريد مني أن أفعل؟»

«اجلسي وراءها، وارفعي كتفيها عن الأرض.»

قامت دونا بذلك بسرعة وهي تأمل أن تهبط الطائرة بسرعة وبسلام.

سأل فرانك بقلق: «كم من الوقت بعد حتى تهبط الطائرة؟»

رأت دونا القلق في عينيه، ذلك القلق الذي يحاول أن يخفيه عن روز ماري بأن هناك خطب ما: «خمسة عشر دقيقة.»

خمسة عشر دقيقة، شك فرانك ان تستطيع روزماري

www.elromancia.com

الاستمرار هكذا طوال تلك الفترة. فقد بدا عليها التعب الشديد.

«هل قام القبطان...؟»

تابعت دونا قبل أن يتمكن من انهاء سؤاله: «لقد اتصل ليؤمنوا لنا سيارة اسعاف، وسنجد هناك واحدة بانتظارنا ما أن نصل إلى المطار.»

هذا يعني ان عليه بذل المزيد من الاهتمام بروز ماري: «هذا يعني، علينا مساعدة روز ماري أكثر...»

وضعت دونا يدها على ذراعه فهي ترى بوضوح مدى قلقه: «هل هي في خطر حقيقي؟» شعرت وكأنها ستختنق وهي تهمس بسؤالها.

«لست أدري، على الطفل أن يولد لأنها ليست قوية كفاية لتبقى هكذا لمدة أطول.»

فتحت روز ماري عينيها، تبحث عن فرانك: «فرانك؟»

«هنا بجانبك، لن أذهب إلى أي مكان قبل أن تصبحي بخير.»

بدا صوته هادئاً وطبيعياً، فكرت دونا. مع انها لاحظت التوتر على ملامحه.

بقي فرانك يتحدث مع روز ماري محاولاً التخفيف من آلامها، لكنها كانت تزداد ضعفاً واحباطاً.

بدا الوقت كأنه لن ينتهي، بعدها ومع صراخ روز ماري سمع صراخ طفل ولِدَ للتو. شعرت دونا وكأنها ستبكي وتضحك في ذات الوقت.

كانت تلك أصعب ولادة حضرها فرانك. فمافيز تورينر تعرضت لصعوبات جمة في أثناء ولادتها للمرة الثالثة، لكن

جانين أمنت لها عملية جراحية قبل أن تصاب بالضعف الذي أصيبت به روزماري. تمنى فرانك أن تكون دونا على صواب بما قالته عندما تهبط الطائرة. فروز ماري تحتاج إلى عناية طبية أكثر مما يستطيع تأمينه.

لكن الآن، شعر وكأنه سيحتفل، فمجرد حمله لطفل حديث الولادة، يعطيه احساس لا يقاوم بالفرح والسعادة.

قال بنعومة: «لقد انتهى الأمر، روزماري، ولديك طفلة جميلة.»

لفت دونا الطفلة بمنشفة نظيفة ووضعتها على ذراع أمها.

قال: «جميلة، مثل أمها تماماً.»

تنهدت دونا بارتياح وشعرت انها لم تر بحياتها شيئاً مؤثراً كنظرة فرانك إلى الطفلة.

التقت نظراتها بعيني فرانك للحظة ولم يكن هناك أي صوت بجانبهما، في تلك اللحظة، كان لديها شعور خفي ان فرانك يعلم بما تفكر.

شعر فرانك فجأة أنه قد ضاع تماماً، ثم ابتسم لدونا. يا للغرابة كيف بكل ما حوله، ما زال يشم رائحة عطرها: «انك رائعة تماماً تحت ضغط الظروف.»

حاولت دونا أن تضع غطاء نظيفاً جديداً حول روزماري: «استطيع قول ذات الكلام عنك.»

ابتسم لها، قال وهو يقف: «انني من الريف. حيث نتعلم أن نكون ارتجاليين.»

مع انه كان قلقاً حتى العظم، لكنه أدرك انه كان يتمتع بقوة كبيرة. كان من المستحيل إزالة الأغطية بدون ازعاج

روزماري، لذلك توقفت دونا عن القيام بذلك، ستصل الاسعاف فوراً وستحصل روزماري على كل ما تحتاجه.

نظرت دونا إلى فرانك: «هل تعلم انك تبتسم ملأ وجهك؟»

«هذا ما أفعله دوماً عندما تسير الأمور على ما يرام.»

نظر إلى الأغطية والأرض، وتابع: «اعتقد على الطاقم أن يقوم بالكثير من التنظيفات قبل أن تسافروا ثانية.»

ضغطت دونا على جبهتها بيدها، منذ فترة قصيرة كانت تشعر بالبرد غريب كيف أن الفرح يرفع حرارة الانسان.

نظرت إلى الخارج من النافذة، بدأت الطائرة بالهبوط. سيصلون إلى الأرض قريباً.

«سأهتم بذلك عندما نهبط.» نظر فرانك إليها بغرابة، متسائلاً ما الذي تعنيه بذلك، فلقد ظن انها موظفة لدى شركة وندسونغ، هل يشمل عملها أيضاً التنظيف؟

انحنت دونا نحو روزماري: «هل هناك شيء أستطيع تقديمه لك؟»

هزت روزماري رأسها، فلقد كان الفرح والرضى يشعان من عينيها، تلمس شعر ابنتها بحب: «هذا يكفيني.»

تذكرت دونا بما كانت تشعر به عندما ولد ابنها الأول. شعور من الفرح لا يوصف تضحي الآن بكل شيء لتعيد تلك اللحظات ثانية حين كان طوني لا يزال حياً.

اجبرت نفسها على الابتسام: «ان لديك ميزة خاصة. انك المرأة الوحيدة التي أنجبت طفلاً على خطوط وندسونغ الجوية.» ابتسامتها أصبحت طبيعية أكثر وهي تتابع: «إذن، ماذا تريدين أن تسمي ابنتك؟»

استغرق الأمر عدة لحظات قبل أن تنظر روزماري نحو

فرانك. توقف فرانك عن ترتيب كم قميصه ورفع حاجبيه متسائلاً. ابتسمت روزماري وقالت: «فرانكي.»

أبدت دونا موافقتها وهي تنهض: «يبدو انك حصلت على اسم خاص.»

نظر إلى روز ماري باهتمام: «بما انها حصلت على اسمي، يجب أن نبقى على اتصال. هل هناك من تريدين الاتصال به عندما تهبط الطائرة؟»

اغلقت روزماري عينيها لتتجنب تساقط دموعها. وعندما فتحتهما ثانية تساقطت دموعها وكأنها لا تريد الانحباس أكثر.

«دانيال، لقد تشاجرنا وتركته لأبقى عند أمي، هو لا يعلم انني عائدة إليه.» أضافت بسرعة: «قل له انني آسفة.» نظرت إلى ابنتها وابتسمت اقترب منها أكثر: «سأحتاج إلى رقم هاتفه.»

«انه في سيتل، دانيال انجيلو، وهو زوجي.»

نظر مندهشاً عندما اعطته دونا قلماً وورقة، انها رائعة ولا تتشتت تحت الظروف الصعبة. وهي متزوجة، ذكر نفسه بذلك، متمنياً لو لا يشعر بكل هذا الانجذاب نحوها: «شكراً.»

اقتربت دونا تحمل منشفة باردة لتمسح وجه روزماري تنهدت روزماري وقالت: «لقد تركته، كان شجاراً سخيفاً وما كان عليّ الرحيل. قل له انني أعرف ذلك الآن.»

ابتسمت روزماري وهي تعطي فرانك رقم الهاتف وكذلك العنوان.

ما ان طوى فرانك الورقة ووضعها في جيبه حتى سمع صوت القبطان: «سيداتي سادتي، سنهبط في غضون دقائق ولن نتأخر هناك كثيراً.»

تمنت دونا ذلك فمطار لايك فيو صغير. وهناك سبب لفقدانهم الوقود تمنت أن تحصل على النتيجة بسرعة، فإذا كان السبب بسيط سيتابعون السفر حالاً.

تابع القبطان: «نعتذر على التأخير، ونشكر لكم السفر على متن طائرات وندسونغ.»

تنهدت دونا. ونتمنى أن لا تغيروا رأيكم بهذه الخطوط.

رمت المنشفة الرطبة جانباً: «كم أكره التأخير.»

وبشعور من ألم مفاجيء أدهشه، تخيل فرانك انها تود العودة بسرعة إلى سيتل حيث ينتظرها زوج وسيم وسعيد بلقائها.

سأل بضيق: «تريدين العودة إلى البيت بسرعة؟»

لم تدرك دونا انها تكلمت بصوت مسموع، نظرت إلى فرانك: «أجل، فأنا لا أحب أن أترك أولادي لفترة طويلة.»

تساءل ان كانت من تلك الأمهات الحذرات. فأمه كانت تتركه يتجول كيفما يريد، لم يكن لديها الكثير من الخيارات. فلقد كان عنيداً عندما كان يافعاً، لكن لديه ميزة جيدة انه كان ايجابياً في كثير من الأمور. ومن حسن حظه ان أمه كانت متفهمة وصبورة أيضاً.

«أليس زوجك معهم؟» كان يعلم ان ذلك لا يعنيه مطلقاً. لكنه كان يعلم أيضاً ان عليه أن يسأل، وبذلك يتأكد كيف تدير حياتها.

بدا الألم على وجهها، مع انها حاولت أن تخفيه: «انني أرملة.»

كانت تلك الكلمات تسبب لها الضيق والألم، ومع انه مرّ زمن على ذلك فهي أرملة طوني، تساءلت ان كان الألم سيشفى يوماً، وكذلك الندم.

لم يكن من الصواب أن يشعر بالفرح على حزنها، ومع ذلك أحس بشعاع من نور الشمس يخترق صدره. فهي أرملة. إذن انها غير متزوجة.

مع ذلك، لن يبدو الأمر جيداً إذا ابتسم. حاول السيطرة على نفسه وهو يقول: «انني آسف، لم اقصد أن أتحدث عن موضوع مؤلم.»

هزت دونا كتفيها بلا مبالاة من جراء كلمته، فهي لا ترضى أن تتكلم عن حياتها الشخصية مع أي من المسافرين، لكن تحت الظروف التي عاشاها معاً، نظرت إلى المرأة والطفلة على الأرض. وقال: «الاعتذار مقبول.»

بدأت اشارة الأحزمة تعمل تمتمت: «وأخيراً.» نظرت إلى فرانك: «من الأفضل أن تجلس وتشد الحزام.»

لم تستطع دونا أن تترك روزماري. ومع الحظ الجيد لن يكون هناك أية مشكلة بالهبوط، لكن في حال العكس، تريد التأكد أن روزماري ستبقى بخير. قالت لها: «لا تقلقي، سأبقى هنا بجانبك.»

«كلانا سيفعل ذلك.»

نظرت دونا لتشاهد فرانك يجلس بجانب روزماري من الجهة المقابلة. وضع يده بالقرب منها، جاهزاً ليمسك بها ان احتاج الأمر.

قال: «كيف تشعرين، روزماري؟»

«رائعة.» مع انها كانت مغمضة العينين من الارهاق: «الشكر لك، لا بد انني كنت قد هلكت من الألم، لولا وجودك.»

كانت دونا متأكدة أيضاً من ذلك، لكنه هز رأسه مناقضاً كلامها: «كنت تدبرت الأمر تماماً.»

نظرت إليه روزماري غير مقتنعة.

ما ان حطت الطائرة على الأرض وفتحت أبوابها، حتى أسرع طاقم اسعاف إلى متنها يجرون حمالة أمامهم. بسرعة وبمهارة، حملت روزماري وطفلتها عن الأرض ووضعت على الحمالة المتحركة. اخبرهم فرانك عن حالتها بسرعة، وسأل أحدهم عن اسم المستشفى الذي ستنقل إليه روزماري. كان يريد أن يطمئن عليها عندما يصل إلى سيتل. فهو لا يحب أن يترك الأمور عالقة. بجانب ذلك، فهو يعلم ان زوجها يريد أن يعلم اسم المستشفى.

استمعت دونا بصمت. شعرت انه يبدو وكأنه يهتم فعلاً. تساءلت ان كان كذلك حقاً، أو انه مجرد شخص يجيد التمثيل. بكل الأحوال هذا يجعل روزماري أفضل، وهذا هو المهم.

سألت روزماري: «لن تنسى؟» ورفعت صوتها أكثر: «ان تتصل بدانيال؟»

سحب فرانك الورقة من جيب قميصه ورفعها عالياً بينما كانت روزماري تبتعد. قال واعداً: «لن أنسى أبداً.»

أخذ المسافرون في الطائرة يحدقون بروزماري وطفلتها وهي تخرج من الطائرة مع طاقم الاسعاف.

قالت دونا: «هذا سيضاف إلى أعمالك الجيدة في قائمة آخر السنة.»

أعاد فرانك الورقة إلى جيبه: «كل هذا يوم عمل عادي في المكان الذي أتيت منه.»

«تتحدث عن العمل...»

ابتعد صوت دونا وهي تتجه نحو باب الخروج فهي تريد

أن تشاهد كل مسافر وأن تتكلم معه. حتى الآن، لم يبدُ عليهم الانزعاج من التأخير وهي تريد التأكد من ذلك.

جلس فرانك في أحد المقاعد، ربما كانت تلك حادثة صغيرة اشتركا فيها، ربما هناك شيء أكثر بينهما، لكنه شعر بأنه قريب جداً منها، وعلم انه يريد أن يعرف المزيد عن السمراء الجميلة ذات العينين الزرقاويين. رأت دونا انه ما زال جالساً وتساءلت لما لم يخرج بعد. قالت وهي تقترب منه: «الجلوس هنا لن يجعل الطائرة تسرع بالاقلاع.»

نهض وهو يقول: «اعلم ذلك. لقد كنت بانتظارك.» أدركت فجأة كم هو فارع الطول. لم تلاحظ ذلك من قبل، وكأنه أطول منها بعشرة سنتميترات: «سوف أسير معك إلى المطار، سيدتي؟»

«عليّ أن أتحدث مع القبطان أولاً.»

هز رأسه: «أستطيع الانتظار.» ابتسم وهو يمد ذراعيه: «ليس لدي أي مكان اذهب إليه.»

عادت دونا إلى غرفة القيادة، متمنية أن يفارقها ذلك الاحساس الغريب بالقلق. بدون شك هذا بسبب تراكم الأحداث عليها، وليس بسبب لون عينيه اللذين يلاحقانها.

أطلت برأسها عبر الغرفة الصغيرة: «رافاتري، تأكد من ايجاد من يهتم بمشكلة خزان الوقود، فالذي حدث أمر غير طبيعي.»

أجاب رجل في الخمسين من عمره، فضي الشعر: «تقولين لي ذلك، كما واننا لا نبعد أكثر من أميال عن مثلث برمودا.»

ابتسمت: «احساسك بالخطر ليس سيئاً. عد إلي عندما تجد ميكانيكي، ساكون في المحطة، اتصل بالبيت.»

«حاضر، السيدة الرئيس.»

«آه، أحب حقاً سماع ذلك.» ضحكت كانت هذه عادتهما. كان رافاتري سعيداً بزواجه وهي قد اتخذت قرارها بالبقاء أرملة. لن يكون هناك رجل جديد بحياتها... أبداً. فهي لا تريد ذلك فثمن الحياة العاطفية غالٍ جداً... ليدفع أكثر من مرة.

كان لا يزال بانتظارها عندما عادت إلى ممر الطائرة. رأى علامات الدهشة على وجهها فقال: «نسيت وجودي؟»

هزت رأسها: «ليس هناك من مجال لذلك.» المشكلة كانت بما تشعر به، شعور غريب، أدركت ان ما تقوله صحيح.

كان المطار مكتظاً بالناس، فهو معد لاستقبال الطائرات الصغيرة. سارت دونا أمام فرانك وهي تتمنى أن تجد ميكانيكي في هذا المطار. وأن يتمكنوا من صيانة الطائرة بسرعة.

أول ما ترغب بالقيام به، بعد ان طلبت من رافاتري أن يجد لهم الميكانيكي، هو أن تتصل بليزا لكي تخبرها انها ستتأخر في العودة إلى البيت أكثر بكثير مما توقعت.

نظرت حولها باحثة عن هاتف ورأت ان هناك ثلاثة على الجانب الآخر من المطار. وهناك حشد كبير من الناس أمامهم. هذا أمر طبيعي.

رأى فرانك عما كانت تبحث: «نستطيع تجربة استعمال الدخان كوسائل للاتصال.»

للحظة، نسيت وجوده وراءها آه، حسناً مما لا شك فيه ان الحشد سيخف بعد قليل. نظرت إليه: «هل أنت معتاد على جعل الغرباء يثقون بك؟»

رأت ان فرانك قد أمسك بالورقة التي سجل عليها رقم هاتف زوج روزماري كان سيتصل بالرجل كما وعدها.

شعرت دونا بالحيرة، فبرغم كل شيء، ليس هناك ما يجبره على القيام بذلك.

كل من يعرفه يثق به، فلديه قدرة على التعامل مع الناس براحة وثقة. حتى انه لا يبذل أي مجهود للقيام بذلك، لكن قوله ذلك يبدو وكأنه يفاخر بنفسه، لذلك ابتسم قبل أن يجيب على سؤالها: «فقط هؤلاء الذي أساعد على انجاب أطفالهم.»

كانت الفوضى والضجة تزداد من حولهما في المطار. فالهبوط الاضطراري لا يعطي الاحساس بالراحة والأمان.

قال فرانك: «إذن، كم تعتقدين سنمكث هنا؟»

بالطبع هناك أكثر من جواب، لكن كانت دونا تعلم انه يستحق أن تكون صادقة معه، فقالت: «بصدق؟»

أعجبه كثيراً حركة عينيها وهي تسأله، فأحنى رأسه احتراماً، وقال: «لا أتوقع غير ذلك مع شخص تشاركت معه اعجوبة الحياة.»

التقت عيناهما للحظة، فقالت وهي تضحك: «لست متأكدة بعد، لكن لدينا مشكلة في خزان الوقود.» ليست السيارات والطائرات إلا آلات وهو يعلم انه جواب غامض.

«هل هذا يعني ان هناك تسرب؟»

«لا، هذا يعني ان هناك مشكلة في خزان الوقود.»

«هل هذا كل شيء؟»

تساءلت، هل يحاول أن ينزع منها الحقيقة، قالت وهي مندهشة: «نعم، لماذا؟»

«لقد كنت شاحبة جداً عندما عدت من غرفة القيادة ولا اعتقد ان ذلك بسبب اضطرار القائد للهبوط هنا.»

كانت تحب أن تعتقد انها تستطيع السيطرة على

انفعالاتها أكثر من ذلك. تقدم ازدحام الناس قليلاً أمام الهاتف فتحركت إلى الأمام وهي تقول: «لقد مرّ علي عشر سنوات وأنا أطير، لذلك لا اعتقد انني أصاب بالشحوب، لا بد ان ذلك بسبب الضوء.» لسبب ما، أو ربما بسبب نظراته إليها، شعرت بخديها يحمران.

قال فرانك: «ربما كان ذلك، مع انه تبدين أجمل باللون الزهري أكثر من اللون الأبيض.»

«الزهري؟»

لم يتمكن من المقاومة، فمر بأصبعه على خدها، الحريري، كالتويج في الوردة التي كانت تقدمها، مولي ابنة شقيقته له عندما تذهب إلى الحقول: «لقد احمررت خجلاً.»

«ذلك بسبب الحرارة.»

ظهرت ابتسامته على شفتيه: «أنت تشعرين بذلك، أيضاً؟»

لم يكونا يتحدثان عن المطار وكلاهما يعرفان ذلك، لكن كان عليها أن تجيب بشيء ما: «عدد كبير من الناس في مكان ضيق.»

كان يفضل أن يبقى معها في مكان ضيق، لكنه علم فجأة انه من الوقاحة أن يعبر عن أفكاره بصوت عالٍ.

عوضاً عن ذلك، نظر نحو آلة بيع للسكاكر وقال: «هل أستطيع أن أقدم لك لوحاً من الشوكولا بينما ننتظر؟»

«لا.» فلقد كانت لا تحبذ السكاكر كلها، لكنها شعرت بأنها جائعة ولم تأكل منذ وقت طويل. رفع فرانك حاجبيه، وكأنه يحثها على القبول: «آه، لما لا؟»

«هذا ما أحبه، امرأة تحب التغيير.» ضحك، وهو يسير نحو الآلة: «ماذا ترغبين؟»

هزت كتفيها، غير قادرة على الاختيار: «لا أعلم، فاجئني.»

ابتسم ثانية، وهذه المرة وصلت ابتسامته إلى أعماق روحها: «حسناً، سأفعل.»

شعرت وكأنها قد سمعت وعداً قاطعاً، ولا يمت بصلة إلى لوح من الشوكولا قال: «احفظي لي مكاني.» وهز رأسه إلى الرجل والمرأة اللذين يقفان وراءه.

«سأعود حالاً.» نظرا إليه وهزا رأسهما بامتعاض.

عندما عاد كان يحمل بيده لوحين كبيرين من الشوكولا بالبندق. أو بالأحرى، واحداً لأنه كان قد بدأ يأكل باللوح الأول.

قدم لوح الشوكولا إلى دونا: «هذا لك، لوح كبير من الشوكولا ليمدك بالطاقة.»

هزت رأسها شاكرة وبدأت بنزع الورقة، فهي تشعر بالجوع أكثر مما تعتقد.

نظر فرانك إلى ثيابه: «اعتقد ان عليّ تغيير ثيابي قبل الوصول إلى سيتل وإلا ستوقفني الشرطة لتسأل عن حالي.»

قال ذلك بكل بساطة، فتساءلت متعجبة أي نوع من الرجال هو حتى يبدو بكل هذه الثقة بالنفس، والقدرة العجيبة على التعامل مع مشاكله ومع الغير بكل هذه البساطة.

رفع حاجبيه مجيباً عن حيرتها: «كان أمر مؤثراً، هناك في الطائرة مع روزماري.»

رفع كتفيه براحة وتنفس عميقاً: «لم أفعل شيئاً. كنت فقط هناك لأقوي من عزيمتها لقد قامت بذلك بنفسها.»

متواضع، أيضاً أمر رائع أن يفكر هكذا. تساءلت إذا كان تصرفه هذا حقيقي وغير زائف. هوارد والكر كان دائماً لطيفاً ورقيقاً حتى رفضت دعوته. عندها أصبح عدائياً وشرساً.

قالت: «لقد ساعدتها لتبقى هادئة.»

ابتسم وهو يقضم قطعة من الشوكولا. هو ومولي يشعران بالضعف أمام الشوكولا. وربما ابنة شقيقته ورثت ذلك عنه: «كنت أحاول تهدئة نفسي. لكن روزماري دخلت في اللعبة أيضاً.»

نظرت إليه عن كثب: «لا تأخذ المديح بسهولة، أليس كذلك؟»

ضحك فرانك: «هذا يعتمد على نوع المديح.»

شعرت دونا بالشوق في كلامه. فاخفضت عينيها. كان هناك نوع من الاحساس بينهما، دافىء ومشجع وكانت لا تملك أية فكرة عما ستفعله. كل الذي تعرفه انها لم تشعر بهذا الاحساس منذ وفاة طوني، فلقد كان الرجل الوحيد الذي جعلها تشعر بأنها امرأة. كان يفعل ذلك بمجرد النظر إليها.

ذات النظرة التي تراها الآن في عيني هذا الرجل. لكن فرانك كان رجلاً غريباً عنها، وحتى لو تشاركا لحظات صعبة في الطائرة. فهي لا تذكر اسم عائلته.

أجفلت دونا، وكأنها شعرت بالعاطفة التي كانت تحكم السيطرة عليها. الشعور بالحب بعد كل هذا الوقت، الشعور بالحب. لقد وضعت تلك الأحاسيس في مكان بارد جداً ومظلم جداً منذ أن وجدت جثة طوني مرمية في المكتب ذلك الصباح. وكانت تتوقع أن تبقى عواطفها هناك إلى الأبد، جثة هامدة. فهي تفضل ابقاءها كذلك.

ذاهلة عما حولها، لم تدرك دونا انها قد وصلت إلى مركز الهاتف. حدقت به بذهول، وبسرعة حاولت تذكر الرقم الذي يبقى في مخيلتها: «آه، اعتقد انه جاء دورنا لنتكلم الآن.»

شعر وكأنه لمح ألم عميق في عينيها. لماذا؟ هل هي قلقة على ولديها؟ أومأ فرانك إلى مركز الهاتف بيده وهو يبتعد قليلاً: «النساء أولاً.»

كانت دونا تشعر بقوة وجوده كما تشعر بتغير احساسها. حتى وهو يبتعد دون أن يلمسها. فلم يكن هناك من حاجة لذلك.

www.elromancia.com

الفصل الثالث

هدأت الضجة في المطار ولم يعد يسمع الا بعض الاصوات من حين إلى آخر. فالجميع يحاولون التكيف مع المأزق الحالي مع ان صبرهم قد نفد، بسبب عدم وجود مقهى بالجوار.

حاولت دونا ان لا تتكلم كثيراً مع ليزا، لكن اصر كل من تايلور وستيفن على التكلم معها. وعندما اقفلت الخط، اختطفت المرأة التي تقف وراءها السماعة بغضب. ابتعدت دونا إلى الوراء في اللحظة التي تقدم فيها فرانك ليمسك بالهاتف المجاور.

ابتعدت دونا عن المكان، متمنية ان تتجنبه ولو لفترة قصيرة. كان هناك بعض المقاعد التي لا تكفي الا لبعض المسافرين، مما اضطر معظمهم للوقوف أو للجلوس على الأرض.

وجدت دونا مكاناً قرب النافذة بحيث تستطيع رؤية المدرج. ما ان جلست ارضاً، اسرع رافاتري نحوها، وتعبير غامض يلف وجهه.

قال قبل ان يصل اليها: «انه اسوأ الأمور.»

شدت يديها إلى بعضهما: «ماذا؟»

حاولت ان تقف، لكنه منعها باشارة منه. لم يكن هناك من شيء تقوم به: «لقد عاد قياس جهاز التحكم إلى عمله. لقد وجدت ميكانيكي في المطار وهو يبحث عن سبب العطل.»

اكثر ما يزعجها تعطيل آلات بدون سبب: «ماذا عن خزانات الوقود؟»

«لا شيء يذكر. فالوقود فيها مازالت كافية، ليس هناك من تسرب أو أي شيء آخر، لم افهم ما الذي يجري.»

لم تشعر ان قلقها قد زال فهي لن تشعر بالراحة الا ليكشف والتر على جهاز التحكم بنفسه. فهو الميكانيكي المتفرغ للشركة. «كم سيستغرق الأمر؟»

هز رافاتري كتفيه: «يقول الميكانيكي نصف ساعة أو ربما اكثر قليلاً.»

منذ ساعة تقريباً كانوا في الطائرة، هزت رأسها بامتعاض، كيف ان الأمور تتعثر: «حسناً، اعلمني عندما تصبح جاهزاً.»

ابتسم لها وتراجع ليعود إلى الميكانيكي.

نظرت دونا من النافذة واخذت تحدق بطائرتها، طائرتها فكرت ان ذلك يجعلها تشعر بالامان والفرح. من حسن الحظ ان العطل في جهاز التحكم وليس في أي شيء آخر، مع ذلك كانت تشعر بالغرابة سيجد والتر حلاً لذلك بالتأكيد.

عندما نظرت إلى المطار ثانية، كان هناك حذاء بني طويل إلى جانبها لم تحتاج دونا للنظر إلى أعلى لتعرف من صاحبه.

كان فرانك يحمل بيديه كوبان قهوة من الورق.

«تفضلي، اعتقدت انك تريدين واحداً.» اعطاها كوباً وجلس على الأرض بجانبها.

«آه، اجل.» فحتى القهوة الجاهزة مفيدة الآن. فهي بحاجة لها لأنها تشعر ان قوتها تخونها. رشفت رشفة من القهوة واغمضت عينيها.

«انك منقذ للحياة.»

«احاول ان اكون كذلك.» اسند ظهره براحة إلى النافذة، لم تكن جلسة مريحة، لكن رفقتها، والنظر اليها يجعل كل شيء مريح وجميل: «هل هناك من اخبار؟»

«سيسعدك ان تعلم أننا سنتمكن من متابعة السفر في خلال الساعة.» ارتشفت رشفة جديدة. شعرت بطعم الورق في فمها، لكن هذا لا يهم، فالشراب الساخن يريحها.

«آه، لا اعرف الكثير عن السعادة.» نظرت دونا اليه مستفهمة فلا احد يحب ان يشعر انه مقيد. «فأنا معتاد على استعمال ادنى الوسائل للتكيف.»

مع ان كلماته كانت عادية وبريئة، لكنها شعرت بالقلق وقالت: «أنا لا افعل ذلك...»

لم يعطها فرصة لتتراجع: «لماذا تشعرين بالخجل؟ حسناً، سأبدأ اولاً. اسمي فرانك هاريغاين واعمل ممرضاً.»

قال كلماته بالطريقة نفسها التي تكلم بها عندما قدم نفسه للعمل في ويلمنغتون فولز.

كان الرجل طويلاً، وسيماً جداً لدرجة انها لا تتنكر انها رأت يوماً ممرضاً بهذه الوسامة. لقد اخبرها من قبل انه ممرض، لكنها لم تحظ بفرصة لتسأله: «لماذا ممرضاً؟»

قال ببساطة: «ولما لا؟ لقد وضعت شقيقتي كل احلامها بان تصبح طبيبة منذ ان استلمت أول لعبة باربي لديها، لذلك قررت انها ان كانت ستعمل في عيادة خاصة فلا بد انها ستحتاج للمساعدة.»

كان هناك نوع من التضليل في جوابه: «ولما لم تصبح طبيباً، انت ايضاً؟»

هز كتفيه، وشد على الفنجان بيده. «لست حاذقاً باجراء العمليات الجراحية.» عاد بافكاره إلى الماضي، مع شعور غامض بالندم، مع انه اخذ قراره وهو سعيد بذلك. فاختياره هذا كان الأفضل للجميع: «كما وان الحصول على اجازة في التمريض لا يتطلب الكثير من الوقت، فقد كنا بحاجة لشخص ما في العيادة القديمة.»

مع رغبتها في ابقاء مسافة بينهما، اقتربت اكثر ونظرت اليه منتظرة ان يتابع حديثه: «هذا يعني؟»

«لنعد من البداية قليلاً، كان والدي طبيباً.»

لم تستطع دونا الا ان تبتسم: «آه، عقدة الوالدين.»

اوما برأسه موافقاً، لقد تمكن من تخليصها من الصدفة التي تقوقع نفسها في داخلها، فكر ان هذا أمر رائع: «تماماً.»

تكلم معها وكأنه يتحدث مع صديق قديم. شعر براحة غريبة معها، وكأنه يعرفها منذ وقت طويل. وكأنها تنتمي إلى حياته...

كان أحساسه غريباً، لكنه لم يحاول ان يفهم السبب، كل الذي يعنيه، ذلك الانجذاب القوي نحوها.

«كان والدي يعمل في اكبر مستشفيات سان فرانسيسكو. وما ان اصبحت في المرحلة المتوسطة حتى لم يعد يحتمل العيش في المدن، وفجأة انتقلت عائلتي إلى منطقة بعيدة في ويلمنغتون فولز.»

تذكر كم شعر بالكره من العيش هناك، وكم ثار وهدد بالهروب والعيش مع اصدقائه.

«بالنسبة لي ولجانين، شقيقتي الصغرى، كانت البلدة

كالأرض المنفية أو هكذا اعتقدناها.» نظر فرانك نحو دونا. كان متأكداً انها تفهم ما يعنيه، تابع وهو يشعر بالراحة اكثر: «بكل الأحوال، كبرنا على ان والدي هو الطبيب الوحيد لبعد عشرين ميلاً من كل الاتجاهات ارادت جانين ان تصبح مثله. لذلك ذهبت إلى الجامعة لتحقيق حلمها.» انخفض صوته: «لقد كنا بعيدين في الجامعة عندما توفي والدي.» بعد كل ذلك الوقت، مازال يشعر بالحزن على فراقه. فما زال يفتقده. «لذلك قررت ان اغير تخصصي بسرعة.»

نظرت اليه، بينما كانت ترفع فنجان القهوة لتشرب. «تغير التخصص؟»

تباً لذلك، لقد انزلق بالكلام. لم يكن يرغب في قول ذلك، قبل وفاة والده، كان يرغب بشدة ان يصبح طبيباً مثله، حتى انه قدم كل الطلبات والمعاملات لذلك، لكن بعد ذلك توفي الدكتور هاريغاين وفجأة اصبح هناك خيارات جديدة عليه القيام بها. كما ان هناك والدته التي عليه ان يفكر بها. كانت آنا هاريغاين امرأة قوية، لكن بدون مساعدة احد، لذا فكرت في إقفال العيادة. وكانت المركز الوحيد للعناية الطبية في تلك المنطقة، لذلك لم يستطع ان يدير ظهره لهذا الأمر.

نقل فرانك وضعه للعميد في الجامعة وبمساعدته تمكن من نقل عدد كبير من الارصدة التي قام بها إلى درجة في التمريض. اما فترة التمرين فلقد نجح في ذلك عندما اخذ يعمل بوقت اضافي بين العيادة في ويلمنغتون فولز وبين المستشفى في المدينة المجاورة حتى حصل على شهادة في التمريض.

خلال تلك الفترة، ومع كل ذلك التعب، فقد اكثر من عشرين

باوند من وزنه، لكنه بطريقة ما حافظ على العيادة مع والدته حتى عادت جانين تحمل شهادتها. ومعها ابنتها مولي.

لكن كل ذلك كانت أموراً شخصية، وشيء لا يحب الحديث عنه ابداً، شيء فقط أمه تعلمه وتعرفه. وعندما سألته ماذا حدث لخطته بان يصبح طبيباً مشهوراً كوالده، هز كتفيه بلا اهتمام واجاب انه غير رأيه. ابتسم وهو يجيب دونا، فلقد كانت لاتزال تنتظر جواباً على سؤالها. تصور انها ستتقبل ما يقوله: «كنت اخيم في مكان قرب الجامعة، لذلك اجتهدت في عملي اكثر، حصلت على شهادتي في التمريض بينما كنت اعمل في العيادة وفي المستشفى أيضاً.» اكمل قصته بسرعة: «حافظت انا ووالدتي على الوضع حتى عودة جانين. ومن حسن حظي كانت طفلة نكية وحصلت على شهادتها بأقل وقت ممكن.»

«طفلة؟» فكرت دونا انها طريقة غريبة للتحدث عن شخص يحمل شهادة في الطب. هل كانت شقيقته طفلة معجزة؟ لقد جعلها تشعر كذلك.

ضحك: «انها شقيقتي الصغرى، وبالنسبة لي ستبقى طفلة حتى ولو اصبحت في التسعين من عمرها.» اقترب اكثر نحوها ليشعر بعطرها اكثر انه عطر يشبهها تماماً، ناعم، رقيق وجذاب، مثلها. «تحب جانين ان ادعوها هكذا.»

ضحكته اثارت ضحكتها أيضاً. في الواقع فكرت ان لديه طريقة ما في جعل كل العواطف تنفعل في داخلها.

التقت عيناه بعينيها ورأى ان هناك الكثير من الغموض فيهما. قرر ان يعطي دونا بعض القوة أيضاً لذلك قال: «اذن ماذا تفعل أم لأثنين، اثنين ماذا؟» سأل وكأنه لا يعرف.

اجابت: «فقط ولدين.»

هز رأسه: «لدي ابن وابنة شقيقة، وهناك الكثير ليقال عن اثنين فكأنهما طاقة حبه، تتدافع مع بعضها ومعك.»

عندما ابتسمت ضحكت عيناها أيضاً، علم فرانك انه وجد المفتاح لروحها المغلقة. شعر بالراحة اكثر وهو يسأل: «بكل الاحوال، ماذا تفعل ام لأثنين في هذا الفضاء الواسع؟» اعتقد انها مضيفة طيران، مع انها لا ترتدي زي خاص بذلك. لكن طريقة عملها في الطائرة تدل على ذلك، كما انها عرفت عن نفسها انها موظفة في تلك الشركة، مع انه وجد الأمر غريباً، فلقد كان يعتقد دائماً ان من يعمل في شركة طيران لا يحمل مسؤولية عائلة وهمومها.

تنهدت وهي تسند ظهرها على النافذة. لقد كانت طريق صعبة، لكنها تمكنت من اجتيازها. دفعت آخر فاتورة للمستشفى في بداية السنة كما ان طاقم الطيران اصبح متفرغاً للشركة. واصبح بامكانها توفير بعض المال للحالات الطارئة، كجهاز التحكم مثلاً. ابتسمت وهي تقول: «تؤمن مصاريف حياتهم وبيت يضمهم.» تابعت من دون ان تفكر «كما وان الطيران هو كل ما اعرفه.»

نظر اليها نظرة عميقة، مخترقة كل اسرارها التي لا تريد الافصاح عنها. «في الحقيقة اشك بذلك.»

نظرت دونا إلى فنجان القهوة الفارغ، محاولة عدم التجاوب مع هذا الرجل.

«كنت أقود احدى هذه الطائرات عندما بلغت السادسة عشرة من عمري، لقد اصر والدي على ذلك. كان يقول ان معرفتي بالطيران ستجعلني افهم العمل اكثر.»

ردد فرانك: «تقودين الطائرة؟» كان يعتبر نفسه متحرراً، يحاول معرفة ما في حياتها: «انتظري لحظة، اعتقد انني لا افهم. ان السيدة تكون عادة مضيفة طيران؟»

ضحكت وهي تهز رأسها، فربما كانت حياتها اسهل من تلك التي اختارتها لنفسها، عندها لا تحمل كل هذه المشاكل. «لا، لا تملك وندسونغ اية مضيفة، لكن يوماً ما سنفعل.»

هذا قاده إلى سؤال آخر: «سنفعل ككلمة متضامنة. أم كمالكة؟»

ابتسمت: «مالكة، وصاحبة الشركة الوحيدة.»

«أنت تملكينها؟»

ضحكت وهي تجيب: «لا، المصرف يملكها، لكنه يدعني استعملها واصرف ساعات طويلة محدقة في شاشة الكومبيوتر محاولة ان اوفق بين مصروفي ومدخولي. لكن اسهمي اصبحت مرتفعة، اذا اردت ان تعرف ذلك.» تنهدت وهي تفكر بآخر اتصال اجرته مع المصرف في الاسبوع الماضي. «انا من تدعي عليه ان كان لديك شكوى.»

«لا استطيع التفكير بذلك.» علم انه يحصل على المعلومات بسرعة، لكنه ما زال يريد معرفة المزيد: «هل كان زوجك كابتن طيران؟»

اومأت برأسها نافية: «لا، لقد استلم مهام الادارة بعد ان توفي والدي. عندها بدأت كل المشاكل. لكن لم يستغرق الأمر طويلاً.»

بعد لحظة، صمتت بذهول، لماذا تعترف بكل هذه الأمور لشخص غريب؟ كان زواجاً سعيداً، علم ذلك وشعر بالغيرة. فهي لاتزال حزينة. لم يتمكن الا من التساؤل بما يشعر به

المرء ان احب بهذه القوة، أو احداً احبه هكذا، لم يتسنَ له الحظ ليعلم ذلك.

«متى تزوجت؟» رفعت رأسها اليه ورمته بنظرة غاضبة، فكر انه بلا شك قد اثار غضبها. «اذا لم تمانعي في ان اسأل؟»

فكرت دونا انها غضبت بلا سبب، واجبرت نفسها على الهدوء، انه فقط يتحدث معها، كما انه قد حان الوقت، كما تقول ليزا، ان تتكلم عن زواجها، بسهولة وبطريقة عادية.

«لا امانع في السؤال، والجواب ليس من وقت بعيد.» عضت على شفتها، وادارت خاتم الزواج في اصبعها، وكأنها بطريقة ما تعيد الأيام إلى الوراء، أو ان توقفها إلى الأبد. لكن الامنيات هذه للاطفال، وهي لم تعد طفلة. نظرت إلى فرانك، وتابعت: «بكل الاحوال، بعد موت طوني. استلمت العمل مكانه. وهذا كان الخيار الوحيد، والا احتمال اعلان افلاسنا. لم اكن لأقبل بهذا، لذلك بدأت بالعمل، فعلينا جميعاً ان نعمل لنأكل.»

«عادة رديئة.» نظر فرانك نحو الة البيع: «بالتحدث عن الطعام، اتريدين لوحاً آخر من الشوكولا؟»

«لا.» فواحد كافي لتشعر بالذنب، فهي دائماً تعلم ولديها ان السكاكر مضرة بالصحة.

مع انه يعمل ممرضاً، كان متعلقاً بهذا النوع من الطعام «كيس من البطاطا المملح؟»

ضحكت وهي تهز رأسها: «لا، اعتقد اننا سنخرج من هنا قبل ان نجوع حتى الموت، سيد هاريغاين، استطيع الانتظار حتى آكل وجبة شهية.»

فكر، ان هذا ما يريد ان يدعوها اليه. لكن هناك بعض

الأمور يجب ان تعالج قبل ذلك. «لا احد يناديني سيد هاريغاين. واعتقد بعد ما مر معنا، يمكنك بالتأكيد مناداتي فرانك، يا دونا.»

سماع اسمها منه جعلها تشعر بحرارة قوية. وكأنها تحتسي شراب القهوة الساخن في يوم بارد في الحقول.

شعرت بأن ردة فعلها كمراهقة، وفكرت انها باستثناء طوني، لم تنظر مرة بحياتها إلى رجل، وبطريقة ما، شعرت وكأنها فتاة في السادسة عشر من عمرها ولأول مرة تشعر بأنها امرأة.

فكرت، فتاة في السادسة عشر، متذكرة تجربتها المرة. وعادت إلى التفكير بالجنازة وبالحمل الثقيل الذي القي على كتفيها.

فتاة شابة، وكذلك امرأة عجوز.

استمرا في الحديث لفترة طويلة. وريداً رويداً كان فرانك يحاول ان ينزع منها اخباراً اكثر. احب كثيراً كيف تلمع عيناها عندما تتحدث عن ولديها. وعندما يفكر فيها. يدرك ان ليس هناك شيء ما لا يعجبه فيها. كما وانه لم يلتق بحياته شخصاً مثلها.

بالنسبة اليه، يمكنه ان يمضي ما تبقى من عطلته هنا، على الأرض في هذا المطار المحتشد بالناس، يتكلم مع هذه المرأة.

لكنه شاهد قائد الطائرة يقترب منهما: «جاهزون للاقلاع في أي وقت تريدين. السيدة الرئيس.»

«حسناً، ليبثوا اعلان اننا سنصعد إلى الطائرة لمتابعة الرحلة.»

تنفست دونا بارتياح بينما توجه رافاتري ليجد الموظف الذي يتكلم في المذياع. نهضت، وعندما نهض فرانك كانت المسافة بينهما ضيقة بحيث لا يتسع لأحد ان يمر بينهما.

التقت نظراتهما لفترة طويلة. وفي تلك اللحظة سمعت صوت رافاتري يعلن ان الطائرة جاهزة للاقلاع نظر فرانك اليها: «دائماً على الوقت، الطائرة جاهزة للاقلاع بينما آلة السكاكر قد فرغت تماماً.»

قالت وهي تسير امامه: «تسير الأمور إلى الأفضل عادة.»

راقبها وهي تبتعد، كان يريد ان يوافقها القول.

اسرع بالمسير حتى يبقى بقربها، لن يسمح لها بالهروب بسرعة، شعر فجأة وكأنه يلاحق سندريلا في منتصف الليل. كان يعلم انه يريد فرصة أخرى للرقص معها قبل ان تغادر الحفلة.

وضع فرانك يده على كتفها ليوقفها عندما وصلا إلى ساحة المطار: «هل انت مشغولة الليلة؟ انني ازور صديقاً في سيتل، لكنني متأكد انه سيعذرني اذا...»

«لا.»

كانت الكلمة الوحيدة التي تفوهت بها كسهماً اطلق في المعركة لدقائق مضت، وبسبب شخصيته الاجتماعية، لقد نسيت نفسها وتحدثت معه اكثر مما ينبغي، لكن كان هناك شيء خاص بينهما، شيء لا تريد ان تعيشه من جديد. فهي لا ترغب مطلقاً في فتح الجروح القديمة بالتمتع برفقة رجل يجعلها تشعر بأنها امرأة من الجديد.

لا رغبة لها بذلك مطلقاً.

شعرت بتلك الكلمات تحرقها، وكأنها السنة اللهب تتصاعد امامها من الاسفلت في يوم حار جداً.

علمت دونا ان عينيه تلاحقانها، وتنظر اليها مستفهمة، فهو لا يستحق ان تغضب منه، ليس بعد مساعدته لها، وليس بعد تضحيته ومساعدته لروز ماري وطفلتها، لكنها لا تريد ان تقيم أي نوع من العلاقات معه. وبالطبع هذا ما يريده، تستطيع ان تشعر بذلك.

قالت: «اعني تايلور مريض واريد ان امضي المساء بجانبه...»

فكرة زيارتها في بيتها اعجبته. قال ببساطة: «هذا رائع، استطيع ان اذهب لزيارتك واقدم لك نصائحي الطبية مجاناً.»

لم تكن من النوع الذي يتهرب من مواجهة الاشياء، لكن الأمور تزيد عن قدرتها الآن، ومع ذلك عليها التخلص منه نهائياً، وان لم تقم بالخطوة الأولى، لن تدري ماذا سيحدث بعدها.

قالت بحزم: «لا، شكراً لك، والآن اعذرني، لدي عمل اقوم به.» كانت ابتسامتها هادئة، استدارت واسرعت نحو الطائرة.

تراجع فرانك إلى الوراء، وضع يديه في جيب بنطاله، وتساءل ما الذي حدث، فمنذ لحظة كانت الأمور بينهما على احسن ما يرام، كان يعلم انه كان يتقرب منها بشكل واضح. بعدها وبصورة مفاجأة اظهرت عدائية غريبة.

هل بسبب شيء قاله.

• • •

لم يتسن له اية فرصة جديدة للتحدث معها، هذا ما ارادته دونا، فخلال بقية الرحلة، بقيت في غرفة القيادة. وبما انه لا يوجد مساعد للقبطان في هذه الرحلة، جلست دونا على مقعده واكملت الرحلة من هناك.

اهتمت بكل ما يدور في غرفة القيادة ما تبقى من الرحلة، فالطيران يجري في دمها.

وقبل ان تعلم بذلك، حان وقت الهبوط. فكرت براحة انها ستصل قريباً إلى بيتها.

تمتمت: «رحلة ناجحة أخرى.» فكت حزام الأمان عن خصرها.

قال رافاتري ناصحاً: «لو كنت مكانك لعرضت هذا الجهاز على ميكانيكي، لم يكن لدي كامل الثقة بذلك الميكانيكي الذي قابلته هناك.»

قالت موافقة: «سأفعل ذلك بدون شك.»

نهض عن المقعد، لكن دونا بقيت في مكانها: «ألن تغادري؟»

«بعد فترة قصيرة.» كانت تريد التأكد ان فرانك قد غادر الطائرة قبل ان تخرج من غرفة القيادة.

امسك رافاتري بحقيبة صغيرة بجانبه: «لن امانع ان اصبحت مساعدتي الدائمة في الطيران.»

ضحكت: «ذلك لأنك كسول.»

ضحك وهو يقول: أجل، هناك شيء من ذلك.» وضع قبعته على رأسه وغادر الطائرة.

عندما خرجت اخيراً من غرفة القيادة، كان مقعد فرانك خالياً. أمر جيد انه قد رحل.

تنهدت بارتياح. وهي تشعر بقليل من خيبة الأمل، التقطت حقيبتها وبعد لحظة تخلصت من احساسها ذلك وشعرت بالفرح.

حسناً، ربما لم تكن سعيدة. بعد ان خرجت من الطائرة ونظرت حولها. لم تجده هناك.

لكنها اصرت على القول ان هذا اشد راحة لها، مع ان تلك الراحة اشعرتها بضيق في صدرها، نعم لقد شعرت بانجذاب نحوه، لكن هذه هي المشكلة، فهي لا نية لها بانجذاب نحو أي رجل... مطلقاً. فمرة واحدة كافية لتحطم قلبها هكذا.

توقفت دونا في مكتبها لتتحدث مع والتر عن جهاز التحكم في الطائرة، وعندما ذهب للتحقق من الأمر، انصرفت لمعالجة كومة كبيرة من الأوراق على مكتبها. كل الفواتير لن تستحق قبل ثلاثة اسابيع. اسرعت بالمغادرة، فطقس سيتل في ايار (مايو) يزعجها حار ورطب. فكرت، انها تحب شعرها الأجعد وهي تسير عبر الموقف المليء بالناس نحو سيارتها. كانت تضع سيارتها في المكان ذاته دائماً لذلك لم تجد صعوبة في ايجادها.

تاهت في افكارها قليلاً ووجدت نفسها تفكر بفرانك بطريقة ما.

قالت بغضب: «لن يكون هناك مستقبل لنا. فهو لا يعيش في سيتل. واي مستقبل لهم في ويلمنغتون فولز... ان حدث ذلك وهي هنا؟»

ماذا حدث لها، فهي لم تتعرف اليه الا منذ بضع ساعات!

لا، لا فائدة. قالت بحزم، اغلقت باب سيارتها بعدما جلست خلف المقود وهي اشد غضباً، لا حاجة لها لتتعرف على احد، لا رغبة لها بذلك.

فكرت انها تعيش بأحسن حال في حياتها المقلقة ومع اولادها. هزت كتفيها، وهي تقود سيارتها عبر خط طويل من السيارات المضاءة.

فكرت وهي تقترب اكثر من بيتها انه لم يشدد على

www.elromancia.com

حضوره بقوة اكثر، فهي شعرت بوجوده بتوتر لم تشعر به من قبل، لكن ليس هناك بحياتها لأمور كهذه. السبب الوحيد انه مازال في فكرها فهي منذ فترة طويلة لم تشعر هكذا، وكأنها فتحت الراديو على اغنية قديمة وتمنت لو تستطيع سماعها من جديد ولو لمرة واحدة.

نكرت نفسها، انها قد حصلت على اغنيتها. وانتهيت بمأساة قاتلة.

لقد وضعت كل حبها، كل احلامها، في انطوني ماكلوف. وهو قد مات، مات باختياره لقد انتحر عندما ساءت ظروف العمل لديهم، غير قادر على تحمل ذنب الخسارة، وكأنها ستضع كل اللوم عليه.

عاد الألم والحزن والغضب يملأ صدرها، فكرت ان ما تلومه عليه فعلاً هو تركه لها. وتركه لولديه اللذين هما بأمس الحاجة اليه.

اجبرت نفسها على التركيز على الحاضر وهي توقف سيارتها في الموقف امام بيتها والذي وضع فيه ايضاً العاب ولديها وسيارة ليزا. ليس هناك من حاجة للعودة دائماً إلى الماضي. لقد انتهى، عندها ولديها لتفكر بهما الآن.

تركت ليزا الباب مفتوحاً لها. فكرت وهي تتنهد براحة: «ما أحسنها من امرأة.»

سارت وهي تشعر بالتعب، لكنها كانت سعيدة. فلقد عادت إلى بيتها. استقبلت في اللحظة التي دخلت فيها بالصراخ. ركض تايلور وستيفن نحوها. وكأن ولديها الاثنين كانا بجانب الباب ينتظران لحظة وصولها.

ضمها تايلور وهو يقول: «أمي، لقد عدت!»

ادهشتها حماسه غير المتوقع، فقد كان تايلور يعاني بين ان يبقى طفلاً مدللاً أو ان يصبح شاباً يعتمد عليه.

ضمت ولديها بذراعيها. وهي تفكر بسعادة ان لا شيء افضل من وجودهما بقربها لا شيء. «بالطبع، لقد عدت. واين يمكن ان اكون الا مع اجمل رجلين في العالم؟»

لم يقل ستيفن شيئاً، بل خبأ رأسه على كتف والدته، وشدها إليه بقوة.

ظنت دونا انها شعرت بكتفي ستيفن يهتزان: «ستيفن، ماذا بك، عزيزي؟»

أتت ليزا من غرفة الجلوس خلف الولدين. نظرت دونا اليها مستفهمة، لكن ليزا هزت رأسها، فهي لا تعرف اكثر مما تعرفه دونا.

قام تايلور بشرح الأمر لهما: «آه، انه فقط يحب البكاء، اليس كذلك؟ توقف!» ضحك وهو يربت على كتف شقيقه.

غضبت دونا: «تايلور، انت تعلم انني لا احب ان اسمعك تكلم شقيقك هكذا.» انحنت دونا لتحدق بوجه ابنها الصغير. امسكت ذقنه بيدها. «الآن لما كل هذا حبيبي؟»

شهق ستيفن: «لقد اعتقدت انك لن تعودي ابداً.»

ضمته إلى قلبها: «آه، ستيفن بالطبع ساعود.» نظرت اليه لتتابع: «لا افعل ذلك دائماً؟»

هز رأسه موافقاً، لكنه اجاب: «قالت عمتي ليزا ان الطائرة تعرضت لبعض المشاكل.»

علمت دونا بما يشعر به ابنها، فهو مازال صغيراً وليس لديه الا والدته. فلا بد انه خائف. ابتسمت له ابتسامة مشجعة: «لا شيء مهم، فكر وكأنها مشكلة صغيرة لسيارة عادية.»

حاول ستيفن ان يهدأ نفسه لكنه لم يستطع: «لكن السيارة لا تقع عندما يتعطل بها شيء ما.»

نهضت، احياناً ترى ان ستيفن اذكى بكثير من عمره: «نقطة جيدة، لكنك تعلم انني اخبرتك ان الطائرات لا تتعرض للحوادث مثل السيارات بكل الأحوال، لم اعد ابتعد كثيراً عنكما.» امسكت بذقنه ثانية وشدت عليه بعاطفة: «هل تشعر بانك احسن الآن؟»

ابتسم الطفل: «احسن.»

حسناً، هذا أمر انتهت منه. نظرت إلى ابنها الأكبر: «تايلور، كيف هي صحتك الآن؟»

قال معترضاً: «صحتي؟ انني بألف خير.»

«هذا هو ابني الكبير.» نظرت إلى ليزا وسألتها: «هل هناك شيء جديد؟»

قالت ليزا: «لم يحدث اي هجوم، ولا ثورات داخل البيت، كابتن. الأمور مازالت كما تركتها.»

ضحكت دونا: «هذه آخر مرة اشتري لك فيلم فيديو.» مدت ذراعيها لتناولها الفيلم.

لقد كان يوم طويلاً، طويلاً جداً فكرت وهي تتذكر فرانك.

وبينما كانت تبحث عن الهدوء، بدأ ولديها بالتحدث معاً، محاولين جذب انتباهها. ارتفع صوتهما لأن كلاً منهما كان يحاول ان يرفع صوته عن شقيقه.

صفرت دونا، ورفعت يدها وكأنها حكم في لعبة فوتبول، وعندما ساد الصمت قالت: «سأبدل ثيابي وبعدها ستخبراني كل ما تريدانه، لكن كل واحد بمفرده.»

نقلت نظرها بين ولديها بدا وكأنهما اقتسما الولدين

بينهما، هي وطوني. يشبهها ستيفن جداً بينما تايلور بشعره الأشقر، وعينيه البنيتين، قد يظنه من يراه انه ابن ليزا اكثر مما هو ابنها: «هل يبدو طلبي معقولاً؟»

اجاب ستيفن: «جداً.»

نظر اليها تايلور بحذر: «هل تسمعين لي اولاً؟»

مما لا شك فيه انه يشبه والده جداً، فلقد كان دائماً يحاول لفت الانظار حتى يحصل على ما يريده. ضحكت دونا: «ماذا فعلت بهما، ليزا.»

ابتسمت، وذهبت إلى غرفتها.

ما ان دخلت إلى غرفتها، حتى عاودها التفكير بالعاصفة وما كان يعقل ان يحدث. شدت بيدها على قفل الباب، وكأنها تتخلص من ذلك الاحساس.

آه، كم يشعر المرء بالراحة عندما يصل إلى بيته.

www.elromancia.com

الفصل الرابع

ما ان عادت دونا إلى غرفة الجلوس حتى سمعت اصوات متنافرة من الغيتار الذي يحمله تايلور، كان يجلس على الكنبة، ويعمل بكل اهتمام وتركيز محاولاً ان يعزف اية اغنية.

فشل مراراً وتكراراً.

كان ستيفن يقف بجانب الكنبة، قال باستخفاف: «لن تستطيع ان تعزفها في الوقت المحدد.»

قال تايلور بغضب: «سأفعل، بالتأكيد، لا تتدخل.»

رأت دونا ان ليزا تحاول ان تخفف من التوتر الظاهر. ومن المؤكد ان هذا ما حصل في اليومين السابقين. حاولت دونا ان لا تعارض تايلور بل رغبت في تغير الحديث: «الوقت المحدد لماذا تايلور؟»

هز تايلور رأسه، واختفت ابتسامته ليحل محلها نظرة غضب: «احتفال المواهب.»

اجفلت دونا، سيضحك عليه الجميع، لكنها تعلم انها لا تستطيع ان تطلب منه عدم المشاركة، فهو تماماً كما كان والده، عنيداً، واي اعتراض أو اقتراح ان عليه الانتظار إلى السنة القادمة ستجعله اكثر تصميماً للمشاركة في هذا العام.

كان قد وعده طوني بأن يعلمه العزف على غيتاره، لكن لم تأت تلك الفرصة ابداً.

تنهدت دونا، لكنها ابتسمت: «ومتى سيقام هذا الاحتفال؟»

ضرب تايلور ثانية على الاوتار، رفع رأسه قائلاً: «بعد اسبوعين.»

كانت ليزا تنظف طاولة غرفة الطعام من الدفاتر والكتب والاقلام المبعثرة عليها. توقفت لتتبادل النظرات مع دونا. وان لم يتلق مساعدة، لن يتمكن تايلور بمدة اسبوعين ان يعزف اسهل الاغاني.

هزت ليزا رأسها وهي تنظر إلى دونا: «لا تنظري اليّ، لا اعرف شيئاً عن العزف، فطوني هو من يحب الموسيقى في العائلة، وليس انا.»

عضت دونا على شفتيها، تبحث عن افضل الطرق لتقول كلمتها، وضعت يدها على كتف ابنها وشعرت كم هو قلق، وكأنه سيرفض رأيها قبل ان تتفوه به: «تايلور، ربما يجب ان تجد شيئاً آخر للاحتفال هذه السنة.»

أمسك برأس الغيتار بقوة، فهو يريد ان يعزف. لما لا يعرف كيف؟ رفع عينيه إلى أمه، متوقعاً منها ان تفهمه. قال لها: «لا استطيع ان اغني، ولا ان ارقص ولا اعرف أي نوع من الألعاب السحرية...»

قاطعه ستيفن: «ولا تعرف كيف تعزف على الغيتار، أيضاً.»

ابتعد بسرعة كي لا يلحق به تايلور.

نظرت دونا إلى ابنها الأصغر بضيق: «هذا يكفي، ستيفن، لن يتعلم شيئاً اذا لم يحاول.» في هذه الحالة، علمت انه لن يحصل على أية نتيجة خلال اسبوعين، لكنها ابقت افكارها لنفسها. نظرت إلى تايلور عن كثب. لقد صعب عليه كثيراً موت والده، وقد تكون رغبته في المشاركة في احتفال المواهب طريقة ليشعر اكثر بالتقرب من والده.»

www.elromancia.com

جلست دونا بجانبه وسألت بنعومة: «لما تشعر ان مشاركتك في هذا الاحتفال مهم جداً، يا عزيزي؟»

لم تتغير تعابير وجهه، فالغضب من الغيتار والتصميم مازال واضحاً في عينيه: «لأنه سيشارك كل من كريس، جايسون وبيت فيه.»

حاولت دونا ان تتذكر تلك الاسماء: «أليسوا هؤلاء الصبية الذين يضايقونك دائماً؟»

«نعم، واريد ان اثبت لهم انني افضل منهم.»

«وتريد ان تعزف الغيتار من اجل ذلك.»

لمع الفرح في عينيه وهو يقول: «نعم.» فما زال يتذكر كيف كان يجلس قرب والده، يستمع بفرح، بينما نغمات الموسيقى تصدح في الجو.

ابتسمت له: «حسناً.» رد لها الابتسامة فيما كانت تتابع: «ربما نستطيع تأمين بعض الدروس الخصوصية لك وبسرعة.» ضحك تايلور وشعرت ان توتره قد زال: «احضر لي دليل الهاتف.» لا شك ان الوقت متأخر لتتصل بأحد ما الليلة، لكن على الأقل تستطيع ان تجد رقماً تتصل به عند الصباح.

قفز تايلور من مكانه وهو لايزال يمسك الغيتار بيده، وقف على رؤوس اصابه، وقبل خدها: «انك رائعة، يا أمي.»

تنهدت، وهي تفكر ان ابنها يتعلم كيف يثير اعجاب اعداءه في تلك المباراة، لكنها لن تقول له مخاوفها انه قد لا ينجح. ومن يدري؟ فقد ينجح ويفعل.

«اقوم بأقصى جهدي لأكون كذلك.»

قال ستيفن: «سأحضر دفتر الهاتف.» كان يسخر من شقيقه.

وضع تايلور الغيتار على الكنبة وركض وراء شقيقه: «لقد طلبت مني ان احضره، ايها المغفل.»

نظرت دونا إلى ليزا: «لا بد ان نجعلهما يحضران اوري وهاريت، عندها قد يتغير تصرفهما مع بعضهما. فدايفيد وريكي لا يتصرفان ابداً هكذا.»

ضحكت ليزا، فطريقة تصرف ستيفن وتايلور تجاه بعضهما لا تختلف ابداً عن طريقة تصرفها هي وطوني منذ خمسة عشر عاماً، حملت المجلات الباقية على الطاولة تحت ذراعها: «ليس هناك من أمل. كما وانك لن تحضي بفرحة مشاهدة دايفيد وريكي بعيداً عن الكاميرا.»

احنت دونا رأسها، متوقعة تلك المشاجرات لعدة سنوات قادمة: «اعتقد انك تقولين الصواب.»

قرع الجرس ما ان عاد الولدين إلى الغرفة، كان تايلور يضع دليل الهاتف على رأسه، ويرفع يديه ليلتقطه اذا ما انزلق عن رأسه. بينما ستيفن كان يقفز بجانبه محاولاً ان يصل إلى الدفتر ليوقعه عن رأس شقيقه.

صرخ تايلور: «ابتعد، لن تقدر على ذلك.»

قالت ليزا: «أنا من سيفتح الباب.»

قالت دونا محدثة ليزا: «اذا كان من هؤلاء الباعة المتجولين، اسأليه ان كنت استطيع الهروب معه.»

استدارت لتنظر إلى ولديها. في بعض الأيام، يصبح الشجار بينهما اكثر صعوبة. لكن بعد ما عانته في الطائرة، يبدو الأمر لها وكأنه قطعة حلوى وهي سعيدة بالحصول عليها.

قالت بحزم: «تايلور، انت لا تحب هؤلاء الصبية لأنهم يتعرضون لك اليس كذلك؟»

قدم لها دليل الهاتف والتقط الغيتار: «اجل، لكنهم لا يستطيعون فعل ذلك لو كنت اكبر...»

علمت انه لا يفكر بالطريقة الحميمة. وضعت الدليل الثقيل على صدرها بيدٍ والثانية وضعتها على كتف تايلور ونظرت في عينيه: «ليس هذا ما اقصده. اذا كنت لا تحب الطريقة التي يعاملوك بها، فلما تعامل ستيفن بذات الطريقة؟»

فتح تايلور فمه ونظر معترضاً: «أنا لا افعل ذلك.»

قال ستيفن: «اجل، أنت تفعل ذلك بدون شك.» متأكداً ان والدته تقف بينه وبين شقيقه.

«اخرس، ولا تتكلم...» ما ان تفوه تايلور بهذه الكلمات، حتى نظر إلى والدته معتذراً وقال متمتماً: «اعتقد انني افعل ذلك؟»

ابتسمت بعطف، فهي تعلم ان الاطفال لا يتحلون بالصبر وان غضبهم لا يدوم اكثر من عدة دقائق: «ما رأيك؟»

ارتفعت كتفيه قليلاً: «اعتقد ان عليّ ان اعامله بطريقة افضل.»

اومأت دونا برأسها، ونظرت إلى ستيفن وابتسمت له: «انها البداية.»

امسكت الدليل لتفتحه: «الآن لنرى ان كنا نستطيع الحصول على استاذ لتعليم الغيتار يحضر إلى المنازل ولا يتقاضى الكثير من المال...»

صوت عميق من وراءها قال: «لا اعتقد ان عليك البحث كثيراً.» اسقطت دونا دليل الهاتف من يدها. سقط على الأرض وتبعثرت اوراقه الصفراء على الأرض.

لا، لا يعقل ان يحدث ذلك.

هل يعقل؟

استدارت دونا ببطء شديد، وحدقت غير مصدقة. كان فرانك يقف بجانب ليزا ويحمل بيده حقيبته.

رأى فرانك كيف كانت دونا تنظر إلى حقيبته فقال لها: «لا تقلقي.» كانت ابتسامته صادقة، وبريئة، كما كانت وهو في المطار وتابع: «لم احضر للبقاء هنا، انني هنا فقط لأطلب خدمة صغيرة.» وضع الحقيبة بجانب الكنبة، حدق ولديها فيه وعلمت دونا ان عليها ان تجيب على الاسئلة التي تتبادر إلى ذهن ليزا، لكن الآن الجميع صامت ومنتظر.

«وهل دائماً تبحث عن نصيحة وأنت تحمل حقيبتك بيدك؟»

كان هنا، بالفعل انه هنا، لا يمكنها ان تصدق ذلك. كانت متأكدة انها لن تراه ثانية.

حاولت دونا ان تهدأ الاضطراب الذي تشعر به.

فكر فرانك، انه لم يكن لديه خيار الا ان يحضر حقيبته معه، فليس لديه اي مكان ليتركها فيه. قال لها: «هذا ما افعله اذا لم يكن لدي مكان اقيم فيه.»

كم هو غير تقليدي ومتحمس هذا الرجل؟ اومأت دونا برأسها محاولة ان تستوعب ما يقوله.

«دعني افهم ما تقول. لقد اتيت إلى سيتل ولم تقم بحجز غرفة في الفندق.»

لاحظ انها تراجعت خطوة لتبقى بقرب أولادها. لا بد انها تعتبره مجنوناً، وربما ظهرت نظرته كذلك، وهو ينظر اليها. والا، لما هو هنا، يقف في وسط بيتها ومع عائلتها؟

«لم يكن هناك من داعٍ لذلك. كنت سأقيم عند صديق.»

سألت غير مصدقة: «لكن؟»

هز كتفيه، فهو مازال مرتبكاً وغير مصدقاً: «لقد اخطر للمغادرة لعمل ما.»

ارتفعت حاجبا دونا... علم فرانك من تعابير وجهها انها تعتقد انه يخترع هذه القصة. عليه ان يعترف ان قصته غير معقولة. لم يحضر غريغ إلى المطار كما اتفقا على ذلك. ظن ان شيئاً ما قد حدث. استقل تاكسي إلى شقة غريغ، لكنه لم يجد احداً عندما قرع جرس الباب. اقتربت منه صاحبة الشقة في الوقت المناسب، وهكذا اجبرته ان غريغ قد ترك له رسالة معها. حالة طارئة هذا الصباح اخبرته على السفر إلى اليابان بشأن عمل هام. لم يكن غريغ يعلم كم سيبقى هناك ولم يذكر في رسالته ان بإمكان فرانك الاقامة في شقته، لذلك غادر فرانك.

نظرت دونا نحو الحقيبة بجانب الكنبة. هل يعقل ان يطلب منها البقاء هنا؟ وبدون ان تشعر، وقفت جامدة ومذهولة.

تظاهر فرانك انه لم يلاحظ: «اعلم انه يبدو الأمر غريباً، لكنها الحقيقة. وبما انني لا اعرف المنطقة...» توقف عن الكلام، كانت تنظر اليه وكأنها تقرر ان كان سفاحاً يحاول كسب ثقتها. «كنت اتساءل ان كنت تستطيعين اعطائي اسم فندق قريب من هنا.»

نظرت دونا إلى دليل الهاتف على الأرض، وفكرت ان طلبه طبيعي: «اعتقد انني استطيع مساعدتك في ذلك.»

انحنت لتلتقط الدفتر، لكن فرانك كان اسرع منها. امسك به وسلمها اياه، كانت عيناه تبتسمان لها.

شعرت دونا ان انفاسها تتلاحق.

سأل تايلور بشك: «من هو هذا، يا أمي؟» بينما تراجع ستيفن إلى الوراء، منتظراً، ماذا سيفعلان شقيقه ووالدته وماذا سيقولان.

لم تعجبها لهجة تايلور العدائية، فهي لم تنشئه على عدم احترام الغير. لكن مؤخراً، اصبح تايلور اكثر استقلالية واعتقدت انه بحاجة لأب حازم يعلمه التصرف الصحيح. كم هذا مؤلم، وكل ذلك بسببها.

«انه...»

تقدم فرانك إلى الأمام ومد يده مصافحاً الصبي ومعرفاً عن نفسه: «فرانك هاريغاين، تقابلت انا ووالدتك في الطائرة القادمة إلى سيتل اليوم.»

بالكاد نظر تايلور إلى يد فرانك الممدودة اليه. تزايدت شكوكه وهو يقف بجانب والدته كي يحميها، تذكر فرانك ان كان لديه مثل هذه المواقف لحماية والدته خلال غياب والده.

لم يكن لدونا مثل هذه الذكريات فقالت بغضب: «تايلور، اين هي عاداتك الجيدة؟»

شعر ستيفن ان الرجل لم يعجب شقيقه مد يده بسرعة ليصافح فرانك، كانت ابتسامته تملأ وجهه وهو يقول: «هاي، انا ستيفن.»

فكر فرانك، ان الصبي يبدو صورة مصغرة عن والدته: «يسعدني رؤيتك، ستيفن، والدتكما اخبرتني الكثير عنكما.»

ازداد الغضب على وجه تايلور: «لماذا؟» كان يريد ان يعرف فقط. هذا يكفي، قالت دونا بحدة: «تايلور؟»

رفع فرانك يده ليوقف غضبها قبل ان تصرخ في وجه ابنها.

قال ببساطة، وهو ينظر إلى تايلور: «لا بأس، هذا أمر طبيعي بالنسبة إلى رجل البيت الذي يريد ان يتأكد من حضور كل غريب. لا يمكن الا ان نكون حذرين في هذه الايام.»

فكرت دونا، ان هذا نوع من الاتفاق، خاصة عندما يدخل غريب إلى بيتك حاملاً في يده حقيبته.

نظرت إليه قائلة: «نعم، اعرف ذلك، فانت لا يمكن ان تعرف ابداً من قد يتبعك إلى البيت.»

ضحك فرانك: «آه، لكن لم اتبعك مباشرة إلى البيت، لقد ذهبت إلى شقة صديقي أولاً، لا تنسي ذلك؟»

احمر وجه دونا، علمت ان كلامها قد يفسر على انه لم يستطع مقاومة جمالها. لكن هذا زاد في حيرتها: «اذن كيف عرفت أين اسكن؟»

كان وجهه مثالاً عن البراءة والصدق: «لقد سألت القبطان بعض الاسئلة عنك، عن شركة وندسونغ للطيران، وفي الحقيقة، لم اتصور انك تعيشين في مكان بعيد عن المطار هكذا، فبحثت عن العنوان في دليل الهاتف.»

تساءلت باعجاب، اذا كان يستطيع الحصول على عنوانها، لما لم يبحث لنفسه عن اسم لفندق يقيم فيه.

قال تايلور وقد فقد صبره: «أمي، الن تبحثي لي عن استاذ للموسيقى؟» ونظر إلى دليل الهاتف الذي مازالت تمسك به.

فكر فرانك، ان هذا سبب مجيئه إلى هنا «دروس خصوصية للعزف على الغيتار؟» قال ذلك وهو يمسك بالآلة من على الكنبة.

اسرع تايلور بالاقتراب من الغيتار: «هاي، انه لوالدي. ابعد يديك عنه!»

نظر فرانك إلى الصبي بهدوء: «لن اكسره.» وبطريقة ما خفت اعتراضات تايلور، وعوضاً عن ذلك، اخذ يراقب فرانك وهو يجلس ويضع الغيتار في حضنه.

راقبت دونا كيف يداعب اوتار الغيتار، كان يلامسها وكأنه يلامس وجه حبيبته. حاولت ان لا تتأثر، لكن فرانك رفع عينيه وابتسم لها، وكأنه علم بما تفكر.

امتلأت الغرفة باصداء الموسيقى الرائعة، قال لتايلور: «لقد تعلمت العزف على الغيتار على آلة كهذه.»

انتقل ستيفن من مكانه ليجلس بجانب فرانك: «هل تعزف دائماً؟»

بدأت الموسيقى ترتفع عندما اخذ فرانك يعزف اغنية مشهورة: «اعزف عندما يتسنى لي الوقت.» ولأن الموسيقى تجري في دمه اخذ يعزف اغاني الروك اندرول القديمة.

وقفت ليزا تراقب ما يجري امامها، انه يعزف بمهارة، ومما لا شك فيه ان دونا متأثرة.

«عندما كنت في المرحلة الثانوية، اقمت فرقتي الموسيقية الخاصة، ومازلنا نعزف معاً، فقط لنتسلى.»

أثرت هذه القصة كثيراً بتايلور، فجلس الولد الأكبر بجانبه وكأنه فعل به فعل الساحر. فلقد نسي كل الشكوك والضيق الذي شعر به. ولقد تحول فرانك الآن، ولو بصورة مؤقتة، إلى بطل حقيقي. «حقاً؟ لديك فرقة خاصة بك؟»

ابتسم فرانك بسره. متعجباً من الاحساس القوي الذي شعر به نحو الصبي، فلم يكن يتوقع ان يكون لديه هذا الاحساس عن ردة فعل تايلور نحوه: «نعم، فرقة حقيقية.»

«ولديكم عروض دائمة؟» لم يتعلم تايلور هذه الكلمات الا مؤخراً لكنه تفوه بها بسرعة.

قال فرانك وهو يتابع العزف: «كنا ومازلنا، نعزف في ايام العطل وبذلك لا تتعارض الموسيقى مع اعمالنا.»

حدق ستيفن، مندهشاً باصابع فرانك وهي تتنقل بسرعة على الأوتار: «ماذا تعمل غير ذلك؟»

قالت دونا: «يعمل السيد هاريغاين ممرضاً.» لاحظت ان جوابها اثار دهشة الجميع، حتى ليزا. نظر ولداها اولاً إليها، ثم إلى فرانك، الذي ابتسم لأنه كان واضحاً ان ولديها لم يصدقا ذلك.

قال ستيفن: «ممرض.» وهو يهز رأسه متعجباً.

قال تايلور: «تعمل الفتيات ممرضات فقط.»

قال بصوت هادىء بعكس الموسيقى التي كان يعزفها: «ليس بعد الآن، اصبح بمقدور النساء والرجال العمل بأي حقل يريدونه طالما يملكون القدرة على ذلك. انظرا إلى والدتكما... انها قائدة طيران.» اعاد الغيتار إلى تايلور: «انه فقط يعتمد على الارادة والتصميم.» نظر إلى الصبي، وتابع: «هل تريد ان تعزف على الغيتار؟»

قال تايلور بحماس واضح: «آه، اجل.» انه يريد ان يتعلم العزف مثل والده، ومثل فرانك: «هل يمكنك تعليمي؟»

نظر فرانك إلى دونا، شاعراً انه تجاوز حدوده. «هل استطيع؟»

سأل تايلور بشوق: «اجل، هل يستطيع، يا أمي؟ ارجوك؟»

قال ستيفن: «انه جيد يا أمي، وتايلور بحاجة ماسة للمساعدة.» للمرة الأولى، لم يعارض تايلور شقيقه.

تنهدت دونا واومأت برأسها. فلقد علمت ان لا حاجة لرأيها هنا. فكرت بالأمر ملياً ثم قررت ان لا ضرر بذلك، فاذا كان يستطيع مساعدة تايلور، فانه أمر جيد، ومهما يكن، فان وجوده مؤقت هنا.

بدأت بالقول: «حسناً.» بينما أخذ ولداها يرقصان ويقفزان من الفرح «اذا لم يكن لديك ما يشغلك...»

مد فرانك يديه براحة: «ليس في الوقت الحالي.»

قالت بهدوء: «ماذا عن ايجاد غرفة لك في الفندق، أو انك مصمم على العودة إلى ويلبر فولز؟»

صحح لها بسهولة: «ويلمنغتون، كما انني قررت البقاء هنا لفترة.» كان تايلور يمسح على الغيتار بفرح: «يمكنك اعطائي اسم الفندق فيما بعد.»

فكرت دونا، طالما ان الأمر لن يستغرق وقتاً طويلاً، مدت يدها نحو ابنها: «انه لك، الآن.»

انسحبت إلى المطبخ وهي مدركة ان ليزا وراءها على بعد نصف خطوة منها. تصرفت ببرودة، فتحت البراد واخرجت منه كيس الجزر.

راقبت ليزا بينما كانت دونا تعمل بسرعة وهي تقطع الجزر.

«ما الذي تفعلينه؟»

قالت وهي تمسك بالسكين الحاد: «اقطع الجزر.»

ليس هذا ما كانت تتكلم عنه، لوحت ليزا بيدها فاقدة الصبر إلى غرفة الجلوس: «يظهر رجل فائق الجمال على عتبة بابك وانت هنا في المطبخ تقطعين الجزر؟»

رمت دونا نظرة غاضبة إلى ليزا قبل ان تتابع عملها:

«هذا ما عليّ فعله. اليوم عطلة انجيلينا ولا اعتقد ان الجزر يحسن تقطيع نفسه.»

وضعت ليزا يدها على شفرة السكين الحادة. «من هو؟»

رفعت دونا عينيها: «كنت اعتقد ان هذا ما كان يجب ان تفعليه قبل ان تسمحي له بالدخول؟»

فكرت ليزا، ان دونا بلا شك متوترة، فلقد رأت نظرة اعجاب عندما دخلت إلى غرفة الجلوس يرافقها فرانك. ذات النظرة التي كانت تراها على وجه دونا عندما كانت مع طوني، لذلك لن تسمح لها بالتخلي عن هذا الاحساس. فقالت لها: «لقد قال انه يبحث عنك، ولقد اعتقدت انه صديق لك.»

غضبت دونا، مع انها ودودة جداً، لكن الصداقة لا تتم بسرعة هكذا، فالصداقة بحاجة إلى وقت طويل لتنمو وتكبر. نظرت إلى ساعتها: «لقد تعرفت عليه... لفترة تقل عن نصف يوم.»

نظرت ليزا من باب غرفة الجلوس لتشاهد تايلور وفرانك معاً: «مما لا شك فيه احب ان أتعرف إليه لفترة اطول من ذلك بكثير.»

وضعت دونا الجزر في وعاء واضافت اليه الماء قبل ان تضعه في الفرن. «هيا تقدمي، اقدم لك كل دعائي بالتوفيق.»

قالت ليزا بصدق: «لكن لن احظى بموافقته وهذا هو المهم.» نظرت اليها دونا بغضب. فتابعت ليزا: «عندما دخل، نظر اليك وكأنك أجمل وجه رآه في حياته.»

رفضت دونا ان تستمع إلى كلامها، وعوضاً عن اتمام الحديث، فتحت البراد لتخرج منه المعكرونة الجاهزة: «مازلت تحافظين على طعامك الخاص، أليس كذلك؟»

كان حديثاً أكثر اماناً. فلقد بدأت منذ ثلاثة اسابيع برجيم خاص، مع انها لا تبدو بحاجة لذلك. «نعم، لكن لا تدخل لطعامي بذلك، انت تغيرين الحديث.»

حاولت دونا مجدداً: «ليس هناك موضوع ما، ليزا.» اغلقت باب البراد بعصبية اكثر مما تقصد. «كان على الطائرة، وتعرفت عليه هناك لأن امرأة اصيبت بالمخاض و...»

امسكت ليزا يدي دونا بفرح: «ماذا؟ في الطائرة؟»

لكن دونا لا ترغب في سرد التفاصيل الآن. فقالت: «انها قصة طويلة. قد اخبرك بها غداً.»

صنعت الصلصة في وعاء آخر. واخذت الوعاء الكبير من ليزا لتطهو المعكرونة فيه. فهي تحب دائماً ان تتناول المعكرونة عندما تعود من رحلة طيران.

«الآن، انا اريد...» توقفت عن الكلام عندما دخل ستيفن راكضاً. «نعم، ستيفن؟»

امسك بيدها واخذ يشد عليها كي توافق: «هل يستطيع فرانك تناول العشاء معنا، يا أمي؟»

لا تدوم الاخلاق الحسنة طويلاً هذه الايام. هذا ما فكرت به بيأس. ومع ذلك، عليها ان تحاول الحفاظ على ذلك. «ماذا حدث للسيد هاريغاين؟»

هز ستيفن رأسه وكأنه يضحك من ذاكرة والدته، قال يذكرها: «انه فرانك يا أمي، هل يستطيع؟ هل يستطيع؟ غرفة الطعام كلها نظيفة ومرتبة.»

اصبحت الأمور خارج نطاق السيطرة. فهذا الرجل يربح موافقة جميع عائلتها بسرعة كبيرة: «لا اعتقد حقاً انه يجب...»

قالت ليزا بحزم مسيطرة على الموقف: «بالطبع.» خرج ستيفن مسرعاً بينما نظرت دونا إلى ليزا بحدة، فتابعت ليزا لتبرر موقفها: «لا مكان للرجل ليذهب إليه ربما لم يأكل شيئاً بعد، اين اخلاقك الحميدة بالكرم والعطف، يا دونا؟»

شعرت دونا ان دفاعاتها تتهاوى، اخذت صندوق المعكرونة وفتحت احدى جوانبه: «تصورين الأمر وكأنني سكروج العجوز.»

اخذت ليزا الصندوق منها ونزعت عنه الغطاء: «لا، ولكنك تتصرفين كمراهقة صغيرة.»

شدت حاجبيها بغضب: «لا تملك المراهقات ولدين.»

انتظرت ليزا حتى اصبحت المياه تغلي: «اذن توقفي عن التصرف مثلهن، من الواضح ان الرجل معجب، والا كان سأل سائق التكسي عن اقرب فندق بدل القدوم إلى هنا.»

هذا ما فكرت به دونا سابقاً: «نعم، اعرف، وهذا ما يخيفني.»

وضعت ليزا المعكرونة في الماء. وامسكت بيدي دونا. «توقفي عن التجول في المطبخ وكأنك نمر جريح للحظة واحدة واسمعي لي.»

بقيت دونا واقفة مكانها: «أولاً وصفتني بالمراهقة الصغيرة، والآن بالنمر الجريح، اثبتي على رأي واحد، ليزا.»

احست ليزا بما تشعر به المرأة امامها، فبعد مرور سنتين، اصبحت تحب دونا كثيراً وهي تريد ان تراها سعيدة.

«كان طوني شاباً رائعاً. واني احبه كثيراً، وافتقده جداً، لكنه رحل اما انت فمازلت هنا، لقد حان الوقت كي تبدأي بالعيش ثانية.»

لم تقل ليزا كلاماً لم تقله من قبل، لكن هذه المرة، كان هناك شخص ما في غرفة الجلوس وهذا هو الفرق، فهي لا تريد ان ترى دونا ترمي هذه الفرصة بعيداً.

«انني اعيش، اعيش بشكل جيد وانني متعبة جداً لذلك.»

هزت ليزا رأسها: «أنا لا اعني العمل والعناية بالولدين، اعني ان تعيشي حياتك كامرأة.»

امسكت دونا ملعقة الطعام ورفعتها نحو ليزا لتوقف كلامها: «لا يمكن تعريف الحياة انها مجرد حياة مشتركة بين رجل وامرأة؟»

قالت ليزا موافقة: «لا.» ثم ابتسمت وهي تتابع: «لكن تجعل الحياة اكثر جمالاً ومتعة.» تابعت وهي تنظر في عينيها: «لقد رأيت ملامح غريبة على وجهك عندما نظرت إليه.»

هزت دونا كتفيها: «ذلك من جراء الصدمة.»

كان أكثر بكثير من ذلك وكلتاهما تعرفان ذلك. وحكمت ليزا انها خائفة من هذا الاحساس.

نظرت دونا إليها وقالت: «اسمعي.» بعدما اومأت برأسها نحو غرفة الجلوس.

جففت دونا يديها بالمنشفة واقتربت من الباب المواجه، سمعت اصواتاً ناعمة من الغرفة، كانت الموسيقى متقطعة، لكن مما لا شك فيه انها موسيقى بدلاً من ضربات متنافرة.

نظرت ليزا ودونا إلى بعضهما وابتسمتا.

قالت دونا بفخر: «تايلور.»

هزت ليزا رأسها: «استطيع القول ان فرانك وجد الحل اليوم. وبرأيي، انه يستحق الدعوة إلى العشاء.»

علمت دونا ان شقيقة زوجها على صواب. ونظراً لجهوده تستطيع بالمقابل تقديم الطعام له. «انه ليس الطعام الذي يقلقني.»

علمت ليزا ذلك. ربتت على خد دونا: «خطوة، خطوة، يا دونا.»

اجابت دونا: «وهذا ما يقلقني.» تلك الخطوة التي تخاف منها.

الفصل الخامس

كان فرانك يتآلف مع الجميع، بشكل رائع جداً.

وعلى العشاء، ابقى الجميع فرحين. لم يكن العشاء أبداً مكان للراحة مع ستيفن وتايلور. وقد انقلب إلى التباري للفت انتباه فرانك ونيل رضاه. اختفت النظرة الجادة من الغرباء عند تايلور، وكان ستيفن يتصرف وكأنه طفل صغير بحاجة لمن يرعاه ويحنو عليه.

استطاع فرانك التوفيق بينهما. ولم تتمكن دونا إلا من الاحساس بالاعجاب من ذلك.

لم تشعر ليزا بمثل هذه السعادة من قبل. اعترفت هامسة لدونا وهي تحمل الأطباق: «اعتقد انه أفضل شيء بعد اختراع البوظة.»

تمتمت دونا: «حقاً!»

تبعت ليزا إلى المطبخ وهي تحمل وعاء قدمه لها فرانك عندما عرض عليها مساعدته. وضعت الوعاء تحت الحنفية وسكبت عليه منظف معطر برائحة الليمون.

نظرت إليها ليزا بتعجب: «ما الذي تفعلينه؟»

فكرت دونا ان الأمر واضح، حركت المنظف في الماء فبدأت فقاقيع الصابون ترتفع: «انظف الصحون.»

أمسكت ليزا بالحنفية واغلقتها: «لدينا آلة كهربائية للقيام بذلك.» ونظرت إليها بتحد: «أم انك نسيت ذلك.»

www.elromancia.com

ابتسمت دونا، وابعدت يد ليزا لتدير الماء من جديد: «ليس هناك أنظف من الغسيل اليدوي.»

كانت تمر على ليزا لحظات تصر على موقفها، كونها محامية فلا بد من ذلك في أوقات كهذه، وقالت لها: «لو كنت أصغر سناً، لكنت تدخلت لمساعدتك على فهم ما تريدين.» مرت يدها إلى الوعاء وقلبت الماء منه: «اذهبي، جبانة، سأهتم أنا بأمر التنظيف.»

لم ترد الذهاب. فهي تريد البقاء هنا، مع ليزا، حيث تشعر بالأمان حيث الاحساس بالشوق يثير مخاوفها: «أنا...»

ضاقت عينا ليزا، فمدت يدها الرطبة نحو الباب: «اذهبي.»

غادرت دونا، وهي تشعر وكأنها مجبرة على ذلك. كان فرانك يجلس بجانب تايلور، يعزف على الغيتار. عندما رأتهما معاً انتابها شعور غامض، وكأنها رأت هذا المشهد من قبل لكن بالطبع لم تشاهد ذلك، فهي لم تر فرانك قبل هذا اليوم. لكن فرانك يجيد العزف كما كان طوني يفعل، فتخيلت وكأن طوني هناك يجلس بجانب ابنه تايلور.

علمت ان المغادرة الآن ستجعلها تبدو قاسية، لذلك جلست على أحد المقاعد وأخذت تستمع.

شعرت بأنها تندمج في هذا الجو ضد ارادتها. فقد كان يعزف بطريقة ظنتها مستحيلة. أحست انها ستبكي، أو ستغني. من المؤكد انه يعزف الأغاني، اغنية بعد الأخرى تلبية لطلب الصبين.

أعلن تايلور بعد ان عزف فرانك أغنية طلبتها دونا بعنوان (غرين سيلفر): «هذه هي الأغنية التي أريد عزفها.»

نظر فرانك إلى وجه دونا. رأى مزيجاً من الألم والفرح معاً. فكر ان هذه الأغنية تعني لها شيئاً ما. وربما أكثر بكثير مما يعتقد. رفع حاجبيه سائلاً: «يوافقك ذلك؟»

لقد كانت أغنيتهما... هي وطوني. كانت تُعزف على الراديو عندما قبلها طوني للمرة الأولى في سيارة والده القديمة. ذكريات قديمة عادت إليها الآن.

همس صوت في داخلها، دعي الحياة تسير.

آه، عظيم، الآن أصبحت تسمع كلام ليزا في رأسها، لكن ما زال الوضع بحاجة للمعالجة يجب عليها أن تدع الأمور تسير، خاصة إذا كان الأمر مهماً لتايلور: «أجل يوافقني.»

هز فرانك رأسه وبدأ يعلم تايلور اين يجب أن يضع أصابعه على الأوتار.

• • •

بعد مساء من التمرين الشاق، تمكن تايلور من عزف بعض النغمات على الغيتار. أصبحت حركته أكثر مرونة وحماسه أكثر عقلانية. فلقد تمكن من التقدم أكثر بكثير من الوقت الذي صرفه لذلك.

حتى هو تفاجأ بنفسه، وما ان انهى فرانك جزء من المقطوعة، حتى بدأت ليزا تقود الولدين إلى غرفتهما: «حسناً، حان وقت الذهاب إلى النوم.»

حاول ستيفن الاعتراض عندما أمسكت بيده: «لكن غداً يوم عطلة، عمتي ليزا.»

«هذا لا يهم، فأمك تريد التحدث مع السيد هاريغاين.» نظرت إلى دونا بالتحديد وتابعت: «بمفردها.»

شعرت دونا بانكماش في داخلها فلا شك ان هناك شيء من المكر بشخصية ليزا.

عاد الشك القديم يظهر لدى تايلور. نقل نظره بين فرانك ووالدته، غير متأكد ان فكرة وجودهما معاً تعجبه: «يتحدثان بماذا؟»

قالت ليزا، وهي تدفع تايلور نحو الباب: «لو أرادت لك أن تعرف، لكانت قالت ذلك أمامك، والآن هي لا تريد ذلك؟»

بدا الأمر منطقياً، لكنه لم يشبع فضوله: «لكن...»

قالت ليزا: «نعم، اسرعا وارتاحا في السرير... بسرعة.»

فبعد مرور سنتين من التعامل معهما، أصبحت تعرف جيداً كيف تؤثر على الولدين.

نظرت ليزا نحو فرانك وقالت: «اعتقد ان الأمر سيأخذ الكثير من الوقت، لذلك أقول لك عمت مساء منذ الآن.»

اغمضت دونا عينيها، مرتعبة. كل الذي قامت به ليزا ان حركت علماً أحمر أمام حقل الرماية. عاد التوتر والغضب إليها ما ان غادر الجميع الغرفة.

قال فرانك لليزا وللولدين: «عمتما مساء.» أعاد تايلور الكلمات بينما لوح ستيفن له.

وضع فرانك الغيتار بعناية بجانب حقيبته واستدار نحو دونا: «قالت ليزا انك تريدين التحدث معي؟»

عندما لم تبدِ دونا أي جواب، تابع قائلاً: «بخصوص ماذا؟»

هزت دونا كتفيها بيأس: «عليك أن تسأل ليزا، فهي من وضع كل هذا السيناريو.»

انه لأمر سخيف. فهي امرأة ناضجة قوية، وأم مسؤولة

تعيش بمفردها. ولديها شركة خاصة بها وهي تدفع أجور العاملين لديها، ومسؤولة عنهم.

كان يجلس على كنبة بينما تجلس هي على مقعد واسع ومريح. لا شك ان أحداً منهما عليه الانتقال. وكان من الواضح انها لن تفعل ذلك. لذلك نهض فرانك من مكانه.

كانت دونا تشعر بتسارع نبضات نبضها عندما اقترب منها. بحثت عن كلام تقوله: «يبدو ان ليزا تعتقد ان عليّ الخروج أكثر.»

كرر: «أكثر.» نظر بحنان إلى وجهها، وتابع: «في الخروج أكثر أو في الخروج أولاً؟»

حدقت دونا أمامها مباشرة، تفكر بالمؤامرة التي قامت بها ليزا لتضعها في هذا المأزق: «في الخروج أولاً.»

اومأ برأسه: «لقد فهمت.» تساءل كم من الوقت سيمر وهي تتابع الكلام محدقة في جهاز التلفزيون تابع كلامه: «حسناً، هي وأنا على اتفاق تام. عليك أن تعاودي الحياة بالشكل المناسب والخروج.» استدارت دونا لتنظر إليه، فتابع: «معي.»

شعرت ان فمها قد جف. فلقد كان قريباً جداً منها. فهي تكاد تشعر بأنفاسه على وجهها. حاولت أن تتذكر وعوداً قطعتها على نفسها: «لا أريدك أن تعتقد أموراً خاطئة، فرانك...»

بخفة لمس شعرها وابعده عن خديها: «لم اعتقد بأية فكرة بعد، ولكنني أعمل على ذلك.»

أحس بشعور لم يشعر به من قبل. الفرح والشوق والاثارة معاً، كان هذا شعوراً نادراً. فكر انها لا شك امرأة مميزة ونادرة. حاولت دونا السيطرة على احساسها، ابتعدت عنه

لكن لم تستطع الابتعاد كثيراً. فحتى المقعد الصغير أكبر بكثير من عاطفتها الجياشة. قالت بسرعة وهي تنظر إلى الغيتار: «اني أشعر بالامتنان مما تفعله لتايلور.»

نظر إليها: «انه ولد ذكي، والأولاد الأذكياء يحتاجون لفرصة، ولا يهم كم يبلغ عمره.»

ضمت دونا يديها إلى بعضهما. وكان الضغط عليهما يعطيها المزيد من القوة التي تحتاجها، بدأت مترددة وهي تبحث عن الكلام: «لقد اخبرتني الكثير عن حياتك في المطار.»

لقد تحدث عن حياته، فقط لكي يخرجها من القوقعة التي تضع نفسها فيها: «كان على أحدنا أن يتكلم.»

وافقت على هذه النقطة: «حسناً، دعني أخبرك شيئاً عني الآن. كان طوني حبي الأوحد.» توقفت لتبتسم: «أمر سخيف، أليس كذلك؟»

لم يبدُ الأمر له سخيفاً. بل رآه رائعاً مثلها تماماً: «هاي، لا يمكنك الحكم على ذلك من خلالي. انني من الاوز ألا تنكرين؟ فالمكان الذي أتيت منه، لا زال الناس هناك يقدمون الانتاج الحيواني مقابل الاستشفاء.»

ابتسمت دونا. انه يجعل الأمر سهلاً عليها بإرادته قالت: «بكل الأحوال، عندما تزوجته اعتقدت اننا سنعيش معاً طول العمر.» بدا الحزن واضحاً على وجهها وهي تتابع: «طول العمر هذا دام سبع سنوات فقط. بعدها أنهى حياته أنهى حياته الرائعة بإرادته.»

نظرت دونا إلى فرانك، محاولة أن تجعله يفهم. كان يهمها أن يفهم ما بها. عندها تستطيع التخلص منه ببساطة وسهولة.

«لقد توفي والداي بحادث سيارة عندما كنت في الثانية والعشرين من عمري. بعدها توفي طوني. بدأت أشعر انني لا أستطيع الاحتفاظ بشخص أحبه. وهذا يجعل الارتباط صعباً... لذلك لا أفعل.» قالت تلك الكلمات بصعوبة. ثم أسرعت لتتابع: «يبدو الأمر أكثر سهولة هكذا. فستيفن وتايلور هما الرجلان الوحيدان في حياتي. وليس هناك مكان لأحد غيرهما.» عضت على شفتها لم يكن الأمر سهلاً عليها. فهي لا تحب أن تتكلم عن حياتها الشخصية ولقد امتنعت عن ذكر انتحار زوجها لأنها لا تستطيع ذكر هذه الكلمات بعد. كما وان لا حاجة لفرانك أن يعلم بذلك: «هل أوضحت لك الأمر؟»

«بمرارة وألم.» لكنه بقي جالساً على المقعد بجانبها. لاحظ انها لم تذكر سبب وفاة زوجها. لكن ليس الوقت مناسباً للسؤال: «بما انك اتخذت قرارك، لا اعتقد انك تمانعين ان ابقى إلى جانبك لفترة حتى احظى بفرصتي المميتة، هل تقبلين؟»

لم تفهم ما يعني، فرددت وراءه: «فرصتك المميتة؟»

ضحك وقال: «ألا تبحثين عن مكان للرماية؟»

«أنا...» لم تستطع أن تكمل كلامها.

«لأنه يسعدني أن أقوم بذلك.»

ضمها إليه بحنان ورقة، فأدركت انها لم تعرف كم كانت بحاجة إلى هذه العاطفة قبل الآن.

علم فرانك الآن، لما أحس بهمس في أذنه، لتلبية دعوة غريغ، ليأتي إلى هذه المدينة، وإلى هذا المكان بالتحديد، كل ذلك ليقابل دونا. ليكون هنا، في وسط هذه العاصفة

القوية من العاطفة التي تجتاحه ولا يستطيع السيطرة عليها.

عَمِل القدر بطريقة ما للقائهما. وهو ممتن جداً لذلك.

فهي بحاجة لهذا الشعور، شعور اقسمت أن لا تعيشه ثانية. يجب أن لا تفعل، فكل ذلك يعود إلى ماض قديم... وإلى حياة لم يعد لها دور فيها.

عاد الخوف يحيط بها من كل جانب، فابتعدت عنه، خائفة مما تشعر به، وخائفة من نفسها. خائفة من هذا الرجل الذي يجعل كل شعور الماضي يعود ثانية.

رأى فرانك الخوف يظهر من عينيها فلم يحاول أن يخفف عنها. لكنه لم يستطع أن يبتعد عنها أيضاً.

احست بنبضات قلبها تتسارع، فقالت: «فرانك، أنا...»

«هس، دعيني أبقى لفترة قصيرة بعد، ثم أغادر.»

«لا أريد ذلك...»

كان يشعر بشوق غريب نحوها: «ان كنت تريدين ذلك أم لا، وبما ان لا مكان في حياتك لشخص ما، هل تمانعين ان بقيت بجانبك لفترة متأملاً ومنتظراً.»

«ماذا؟»

هز رأسه وكأنه يعتذر: «لا تهتمي للأمر.»

لم يكن يعلم إذا كان يتكلم بمنطق. كان يشعر وكأنه قارب صغير يصارع اعصاراً عنيفاً ويحاول النجاة بحياته.

تنهد بعمق، وابتسم لها. ستأتي سيارة تقله قريباً، لذا نهض وسار نحو حقيبته: «ستعطيني اسم فندق مريح في هذه المنطقة.»

هزت رأسها، وهي تفكر. فلقد نجح فرانك تماماً بتشتيت أفكارها.

ذهلت، وهي تحاول تذكر اسم الفندق الذي تمر أمامه كل يوم في طريقها إلى البيت. قالت وهي تسير أمامه إلى الباب: «الهمبرا ففت اند ساند تري.»

تبعها، وكأنه يسير وراء رائحة من العطر: «هل هو قريب من هنا؟» توقفت دونا ونظرت إليه، علمت انها اخطأت لحظة قالت له اسم الفندق.

«نعم.»

أحس انه بحاجة إلى أن يلمس خدها، لكنه تراجع: «إذن ربما استطيع رؤيتك بعد طالما أنا في سيتل؟»

نظرت دونا إليه وشعرت على الفور وكأنها تضيع في بحر عينيه. ركزت على كل كلمة تجيب بها: «سيعتمد تايلور على ذلك، اعتقد انه بحاجة لأكثر من درس واحد.»

اتسعت ابتسامته: «هذا يشملني أيضاً.»

علمت ما الذي يقوله، ولقد حان الوقت لتجعل الأمور واضحة تماماً: «فرانك، لا أريد العودة إلى الارتباط أو التفكير بأحد ما.» فهي لا تريد أن تحب من جديد. لا يأتي الحب إلا مع ثمن غال جداً وهي لا تستطيع أن تدفع ذلك الثمن ثانية: «لا أستطيع.»

سمع صوت بوق سيارة فعلم انها له، ومع ذلك توقف لدقيقة أخرى: «لما لا؟ فقد تحصلين هذه المرة على الخاتم النحاسي.» فإذا كان ما يشعر به الآن حقيقياً يستطيع أن يضمن لها ذلك.

فتحت الباب له وهي تقول: «ان السيارة بانتظارك، فرانك. من الأفضل أن تذهب. عمت مساء.»

قال: «عمت مساء.» نظر إليها فرأى الشوق في عينيها،

على الرغم من مقاومتها، فابتسم قائلاً: «سأراك عند الصباح.»

«حسناً.»

اغلقت دونا الباب، كان يجب أن تقول لا. كان يجب أن تقول ان لديها أعمال. وفي الحقيقة ان كان لديها أي حس بالمنطق، عليها الابتعاد عن البيت عندما يأتي غداً.

تنهدت دونا واسندت رأسها إلى الباب. كانت تشعر انها لا زالت متوترة. لو ان لديها أي تفكير منطقي بكل الأحوال...

• • •

تذكر فرانك عندما دخل الفندق، المؤثث بالمفروشات الخشبية الفاخرة والديكور الخشبي الداكن، بالأيام التي أمضاها في باجا في كاليفورنيا. فهو يحب الأجواء المكسيكية. كان الفندق نظيف، واسع والأهم من كل شيء قريب من دونا. أعطى موظف الاستعلامات المعلومات المطلوبة، وقدم له بطاقة الاعتماد فسلمه المفتاح في غضون خمس دقائق.

كانت غرفته في الطابق السابع. الرقم ٧ هو رقم الحظ لديه.

دخل إلى غرفته، وضع حقيبته على طاولة صغيرة ورمى بنفسه على السرير. شعر بالارهاق والتعب من يومه الطويل، حدق بالسقف وكاد يقسم انه يشاهد وجه دونا في الظلال التي تبعثها الأضواء من المباني المجاورة.

كان يوماً مهماً، في كل لحظاته. شعر بالذهول. انه أهم يوم في حياته. تذكر ولو متأخراً، أنه قد وعد جانين أن

يتصل بها ما ان يصل إلى سيتل. جلس متعباً وأمسك بالهاتف، جره إلى حضنه وطلب الرقم الذي يوصله ببيت شقيقته. عدّ ستة دقات قبل أن ترفع السماعة.

صوت مستغرق في النوم أجاب: «الو؟»

جلس براحة مستنداً إلى ظهر السرير: «أية طبيبة أنت. لو انني حالة طارئة، لكنت توفيت الآن.»

قالت بصوت واضح انها مستيقظة الآن: «لا بأس عليك، كنت استطعت معاينتك، وبدون مقابل.» سمع صوت شاين، مما لا شك فيه انه يسأل من المتكلم. أجابت جانين: «لا أعرف. يريد شاين أن يعرف من أنت، فرانك. لقد فقدنا الأمل من اتصالك بنا الليلة.»

«لأنني اتكلم من فندق الهمبرا.»

لم يبد لها الأمر جيداً: «ولما ليس في شقة صديقك غريغ؟ هل رماك خارجاً؟» لم تخبر فرانك انها امضت فترة قلقة عليه، وتشعر بالحيرة عما حدث له ولما لم يتصل بعد. لقد اتصلت بالرقم الذي اعطاها إياه لكنها لم تسمع أي ردٍ. ولو ان فرانك شقيقها الأكبر، لكن هذا لم يمنعها من القلق عليه عندما يبتعد عنها.

اخبرها عن اختفاء صديقه وعن رحلته المفاجئة لعمل طارىء.

شعرت بالحيرة أكثر: «ولما لم تعد إلى البيت حتى الآن؟»

من أين يبدأ بسرد قصته؟ بدا وكأن الكثير من الأمور حدثت في هذا اليوم فقال لها: «لقد قابلت امرأة الاحلام في الطائرة...»

حسناً، هذا يفسر كل شيء: «آه، أنت لم تضيع لحظة من وقتك، أليس كذلك؟»

عَلِم كيف يبدو لها الأمر. لكن هذه المرة، كان بريئاً، على الأقل في أول لقاء لهما: «لم يكن التعارف من قبلي. لقد وقعت علي.»

أعادت جانين التفكير بالسنوات السابقة حتى من أيام المدرسة وإلى الآن، فأكثر من مريضة تأتي إلى العيادة من أجل أن تتأكد من ضغطها أو نبضها وذلك لرؤية فرانك: «هذا ما يحصل دائماً.»

حاول تفسير الأمر لها مجدداً: «لا، اعني بأمانة وصدق، فلقد كان الجو عاصفاً.»

ضحكت: «أراهن أنه كان كذلك.»

زفر بضيق: «هل تريدين التحدث بجدية؟»

«هذا يعتمد عليك؟» كان هناك شيء مختلف في صوت فرانك، شيء لاحظته جانين بسهولة.

قال بصدق: «لا أعرف.» لقد حدث كل شيء بسرعة، كان معتاداً على الانجذاب إلى النساء، ولكن ليس بهذه الطريقة كان يبدو وكأنه لا يملك خياراً في الموضوع: «بما انني هنا، اعتقد انني سأبقى لفترة، فربما عاد غريغ فجأة كما غادر.»

لم يكن غريغ من يهتم لرؤيته، علمت ذلك، فلقد شعرت جانين انه يعتقد ان هناك شيئاً ما سيحدث في هذه الرحلة: «أمر جيد انني اتصلت بمكتب توظيف الممرضين والممرضات اليوم، وسيرسلون لي ممرضاً غداً صباحاً.»

ضحك فرانك. فشقيقته لا تجعل الأمور تفلت من يديها: «تتكلمين عن عدم تضيع الوقت...»

«لدي حس داخلي بشأن ذلك. والآن اخبرني، هل هي جميلة؟»

«إنها ليست جميلة بل فائقة الجمال.» ضحك ثانية وهذا ما اسعد قلب جانين. هذه المرة، ستكون الأمور مختلفة. هذه المرة سيجد فتاة أحلامه. لديها هذا الشعور...

«لقد فهمت، حسناً. وإذا تطورت الأمور بشكل جديّ أريد أن أراها بنفسي فأنا لا أعطي شقيقي الأكبر لأي كان. أنت تعلم ذلك.»

كانت تحاول أن تدير حياته منذ أن بدأت تتكلم. في بعض الأوقات كانت تثير غضبه، ولكن في معظم الأحيان كان يشعر باهتمامها وحبها ومع ذلك: «اخبري شاين انه لا يقوم بواجبه ليبقيك ضمن مسؤولياتك. فلقد أصبحت كبيرة كفاية لتتصرفي هكذا.»

«تصرفي جيد جداً، شكراً لك، وأنت تعلم دائماً انك بحاجة لي لأهتم بك. حسناً، تمتع بوقتك بينما اعمل هنا بمفردي.»

لقد علم انها تقول الحق، فهي تعمل كثيراً: «أريدك أن تقبلي مولي وجوني عني.»

«سأفعل.» أمسكت بيد زوجها لتمنعه من السؤال. وقبل أن تفعل الخط: «آه، تقول مولي انها تريد كتاباً عن تاريخ سيتل.»

هذا أمر طبيعي: «أحياناً أفكر ان تلك الفتاة ذكية جداً بالحصول على كل ما تريده.»

ضحكت فرحة، فابنتها تعلمت القراءة بمفردها وهي في الرابعة من عمرها لأنها لم تكن صبورة كفاية ليقرأ لها أحد: «هذا أمر طبيعي.»

«لا أرى أن زواجك قد أثر ولو قليلاً على تواضعك.»

ضحكت جانين وهي تضم زوجها: «لا، لكنه جعلني أكثر سعادة. يجب أن تتزوج يوماً ما.»

لم تعد الفكرة تخيفه، مؤخراً: «سأبقي ذلك في رأسي. عمت مساء جانين.»

«عمت مساء، آه، فرانك.»

كاد أن يقفل الخط: «نعم؟»

قالت بنعومة: «عاود الاتصال.»

شعر انه لأمر غريب أن تقول له شقيقته ذلك وهي تعلم انه سيعود في مهلة اسبوعين. لكنها تظاهرت بأنها لا تقلق عليه. عندما أعاد الهاتف إلى مكانه، استلقى على ظهره محدقاً في سقف غرفته.

وأحسن بأن الظلال ما زالت تشبه وتعكس جمال دونا.

الفصل السادس

لم تتمكن دونا من النوم. فالساعات الأخيرة اثرت كثيراً في نفسها، شعرت أن عاطفتها النائمة قد استيقظت وأفكارها تبعثرت. كل ذلك تركها متوترة مشوشة الافكار، حتى بدأت تشك أنها ستتمكن من النوم ثانية.

هناك، في غرفتها المظلمة، كانت تتقلب وتتقلب في سريرها الواسع، تتذكر كل كلمة قالها وكل احساس غريب شعرت به.

أصبح الاحساس بالذنب شريكها.

فمنذ وفاة طوني، لم تفكر مرة في الاحساس بالفرح من رؤية رجل ما. أو حتى تنظر مرة إلى رجل. والآن ليس فقط تنظر إلى هذا الرجل، بل أيضاً تفتقده، تاركة نفسها للشعور بخيبة أمل كبيرة في المستقبل. ففي كل الأحوال، لن يعود فرانك هاريغاين.

كانت تعلم من صميم قلبها، انه من الافضل لها أن لا يعود.

أمضت الليلة كله، وأفكارها تتأرجح حول الشوق لرؤيته والهروب منه. ولم تجد لأفكارها مستقر.

أخيراً، وبعد الثانية ليلاً، نامت دونا نوماً قلقاً. وسيطرت عليها أحلاماً ما أن تبدأ حتى تنتهي.

اقلق نومها صوت موسيقى تنبثق من جرس الباب، استيقظت فاقدة الصبر من الانزعاج. فتحت عينيها وهي تشعر أنها تنتمي إلى عالم الاموات أكثر من الحياة. لم

www.liromancia.com

يتوقف قرع الجرس، بل استمر في ازعاجها، والأهم أنه جرس باب بيتها.

نهضت بتكاسل من سريرها نازعة عنها الغطاء الذي لف عليها من كثرة تقلبها في السرير طوال الليل. وكانت الافكار تتضارب في رأسها مشوشة مضطربة.

كانت آخر من استيقظ في البيت، فولديها معتادان على النهوض في ساعة مبكرة من أجل الذهاب إلى المدرسة طوال أيام الاسبوع. كان جهاز التلفزيون يعرض برنامجاً رياضياً ولا أحد أمامه يراقبه. لم يكن ستيفن وتايلور هناك. سمعت دونا ولديها يتكلمان، يتشاجران ويختلفان وصوت ليزا يعلو على أصواتهما.

اعتقدت انهما يتشاجران، بعدها أدركت أنها يتكلمان مع شخص ما، وهو ليس مدبرة المنزل.

فلقد كانت انجيلينا في المطبخ. رفعت المرأة حاجبيها وهي تحدق بقميص النوم القطنية التي تلبسها دونا أثناء نومها: «كنت ارتديت أطول في هذه لو كنت مكانك.»

«لدينا زائر؟»

ابتسمت انجيلينا: «آه، أجل، ويمكنه أن يكون أكثر من زائر بالنسبة لي.»

«هو؟» كانت دونا خائفة أن تذكر اسمه. ولكن لمع بفكرها فجأة، لا، لا يعقل، ليس ثانية. ليس بهذه السرعة.

ابتسمت المرأة ابتسامة ثانية، فهي أم لولدين، وجدة لخمسة أطفال، بدت فجأة وكأنها تحولت إلى شابة في العشرين من عمرها: «هو بعينه.»

تنهدت دونا وسارت نحو غرفة الجلوس.

أغمضت دونا عينيها من هول المفاجأة. ثم حدقت بفرانك. كان يقف في وسط الغرفة، محاطاً بجميع أفراد عائلتها. إنه مشهد رأته البارحة ما عدا أنه لا يحمل حقيبة معه اليوم. أخرجت نفساً عميقاً من صدرها بضيق وقالت: «ألم تذهب إلى بيتك البارحة؟ أو على الاقل إلى فندق ما؟»

كانت تبدو غاضبة، متذمرة. يستطيع الرجل أن يعلم الكثير بشأن المرأة عندما يراها في الصباح الباكر. لم يجد فرانك ما لا يعجبه، كانت عيناها لا تزالان مغمضتين من النعاس. وشعرها يتدلى على كتفيها بفوضى جميلة. كانت تبدو فائقة الجمال.

قال لها: «لقد ذهبت، بالمناسبة إنه فندق جميل جداً.»

تمتمت: «إنه الأجمل في سيتل.»

نظراته جعلتها تتمنى لو أنها ترتدي غير هذا الثوب. رفعت ذقنها بكبرياء، مصممة أن تتحداه بوقاحة: «إذا كنت قد أعجبت بالفندق، فما الذي تفعله هنا؟»

نظرات عينيه أجابتها على سؤالها. فشدت ثوبها إليها أكثر.

ظهرت ابتسامة بريئة على وجهه: «لقد اعتقدت أنني أستطيع اصطحابكم إلى الفطور مقابل خدمات تقدمونها لي.»

قالت ببطء وهي تفكر بالمعنى لكلمة: «خدمات؟»

بينما صرخ تايلور وستيفن: «حسناً.» وصفقا معاً.

كان الضباب لا يزال يلف دماغها. فهي لا تشعر أنها تستيقظ بالفعل إلا بعد أن تشرب فنجانين من القهوة لتستجمع قواها وتنشط تفكيرها. رأى الشك والارتباك في

عينيها فردد: «خدمات، بأن ترافقونني لأرى معالم المدينة. أعلم أن أبرة الفضاء. قريبة من هنا، ولكنني لا أعرف بالتحديد أين.»

أجابت: «لا أحد يضيع مكانها. في ساحة المدينة، لا يمكن أن لا تراها.»

دخلت انجيلينا الغرفة، مهتمة بالحديث أو ربما لتشاهد الشاب الوسيم عن قرب. حاولت دونا أن تتجاهلها.

نظر فرانك إليها بطريقة جعلها تحف قدميها بالسجادة: «لا أحب أن أفعل الاشياء بمفردي.»

بدأت ليزا، محاولة أن تنقذ الموقف قبل أن ترفض دونا مرافقته: «حسناً إذن لقد أتيت إلى المكان المناسب.» وضعت يدها على ذراع فرانك كي تبعد انتباهه عن النظرة الغاضبة التي رأتها على وجه دونا: «فلقد كانت دونا تقول لي البارحة انها لا تشبع أبداً من المناظر التي تشاهدها في سيتل.»

فتحت دونا فمها وهي تحدق غير مصدقة بما تقوله ليزا.

قال فرانك لليزا: «في الحقيقة.» وتطلع إلى الولدين اللذين كانا يسمعان كل كلمة: «كنت أفكر في اصطحاب الجميع.»

بدأ فرانك يقفز فرحاً عن الأرض، سائلاً: «نحن أيضاً؟»

قال فرانك: «انتما، أيضاً.» ثم استدار إلى المرأة التي تقف بجانبه: «وليزا.»

آخر ما كانت تفكر به أن تكون معهما. أو أن تكون حاجزاً لدونا. اسقطت ليزا يدها عن فرانك وهزت رأسها رافضة: «لا... أنا...»

قالت دونا فجأة: «بالطبع، ليزا.»

هناك شعور بالامان أكثر مع وجود اشخاص كثيرين. فإن كانت مجبرة على الذهاب، فهي تريد أن تكون ليزا معها. علمت أن الامر يبدو سخيفاً، لكنها تشعر بقلق غريب. وهي لا تريد البقاء بمفردها معه. انها خائفة من البقاء بمفردها مع فرانك. فكلما زاد عدد الناس بينهما، كان ذلك أفضل.

بدأت ليزا تفكر بطريقة ما لتهرب، لكنها تراجعت عن ذلك. فإن ذهبت معهم، تستطيع الاهتمام لفترة بالولدين وتأمين بعض الوقت لدونا وفرانك ليمضياه معاً. فقد تسير الامور على خير ما يرام في النهاية.

قالت ليزا: «أيها السيد، لقد حصلت على مرافقين للسياحة من الدرجة الاولى.»

«عظيم.» استدار نحو دونا: «هل تريدين تغيير ثيابك، أم تفضلين الذهاب كما أنت الآن؟»

شاب حكيم: «سأغير ثيابي.» واستدارت عائدة إلى غرفتها.

علا صوت فرانك وراءها: «قرار جيد.»

تمتمت دونا: «لا أعتقد ذلك.» لكن رأيها لا يهم وربما لم ترفض فكرة الذهاب بقدر ما يجب أن تفعل.

• • •

أراد كل من ستيفن وتايلور الذهاب إلى مطعم حيث يقدم طعاماً سريعاً مع خبز ساخن ومقانق في غمضة عين. أما بالنسبة لفرانك فلا فرق لديه، لكنه أحس من تذمر دونا أنها تفضل طعاماً محضراً بعناية.

اقترح لذلك مطعماً شرقياً يوافق الجميع، ويقدم بان كيك شهياً. راقب فرانك بمتعة، كيف يتناول ستيفن طعامه بنهم من غير أن يبدو عليه أي أثر لشبع.

اقترب أكثر نحو دونا وقال هامساً: «هل يربي ستيفن أي حيوان أليف؟»

توقف ستيفن عن الطعام ليقول: «اطلب كثيراً من والدتي أن تجلب لي أي حيوان أليف، لكنها لا ترضى لأنها تقول أنني سأطعمهم ديدان.»

ارتعشت دونا من مجرد التفكير بذلك. وكعادته ستيفن يضيع معظم أغراضه، فلا بد أنها سترى هذا الحيوان ينتقل بأرجاء البيت على هواه.

«يحب ستيفن الطعام كثيراً، ولكن يبدو أنه يهضم كل الطعام قبل أن ينهض عن الطاولة.» تذكرت أن طوني كان كذلك أيضاً: «هذا أمر وراثي في العائلة.»

قال فرانك وهو يبتسم: «لقد لاحظت ذلك، عليك أيضاً.»

كان كلامه مجرد مديح عادي. شيء سمعته كثيراً من قبل. ولا من داع لتتأثر به. لكن كان هناك شيء ما في كلامه، في تصرفاته. كانت تسمع بعض كلمات المديح والغزل من قبل، لكن كانت تلك الكلمات تقال للسيدة دونا ماكلوف سيدة الاعمال القوية. لكن لم يمدح أحد أم تايلور وستيفن من قبل. حتى الآن. ربما بسبب ذلك شعرت بخديها تتقدان حرارة.

بدأت بالكلام متوترة: «إذن هل هناك مكان خاص تود الذهاب إليه؟»

مكان منزو في السينما حيث يجلس معها بمفردهما. مجرد التفكير بذلك جعله يبتسم، فهو لم يقم بذلك منذ ان كان

في السابعة عشر من عمره. لكن كان هناك شيء ما في دونا جعله يفكر في أيام المراهقة وجعله يرغب في اعادتها معها.

شعرت دونا أن حرارتها ترتفع، فهي تعلم أن أي كلام سيقوله فرانك لن يكون ما يفكر به حقاً. فهي متأكدة من ذلك مما تراه في عينيه.

ابتسم وهو يرى التوتر واضحاً على وجهها: «لما لا نبدأ بالمنتزه الذي يدعى غابة المرح؟» ضغطت دونا على شفتيها عندما صرخ ولديها من الفرح. إنه لأمر غريب، يتصرف كالسائح الضائع، لا شك أن الرجل يحمل دليلاً معه في جيبه.

حاولت أن تغضب، لكنها لم تستطع. نظرت إليه: «لا يعقل أنك اخترعت ذلك من رأسك.»

هز كتفيه بخفة: «اختيار موفق؟»

ضاقت عيناها: «لقد اعتقدت أنك تريد الذهاب إلى ابرة الفضاء؟»

لقد فكر بذلك أثناء الفطور وقرر تأجيل ذلك حتى المساء. أجابها: «لنترك الذهاب إلى هناك حتى المساء. لقد سمعت أن هناك مطعماً جميلاً حيث تبدو المناظر منه خلابة رائعة.»

شعرت دونا وكأنها تسقط من علو شاهق. رفعت يدها بسرعة: «واو. أنت تعني أننا سنمضي طوال النهار معاً.»

إذا كانت تقصد بكلامها أنه يتجاوز حدوده، فلم يبد أية ملاحظة أنه فهم ذلك. ارتشف آخر رشفة من فنجانه قبل أن ينظر إلى وجه دونا ويسألها: «نعم. هل لديك أي اعتراض؟»

قال تايلور قبل أن تتمكن والدته من الاجابة: «قطعاً لا.»

قالت ليزا بشعور مماثل: «لا.» وتجنبت النظر إلى دونا.

نهض ستيفن مسرعاً، جاهزاً للرحيل: «دعونا نذهب.»

تسمرت دونا مكانها، مع أنها تعلم أن لا فائدة لها من ذلك. عليها أن تعترض على ما يحصل من أجل العادات والتقاليد إن لم يكن لشيء آخر. لا يعقل أن يأتي هذا الرجل من المجهول إلى حياتهم ويتحكم بهم طوال النهار: «هاي، انتظروا لحظة. أليس لي دور في كل ما يجري؟»

قال موافقاً: «بالتأكيد. طالما ما تقولينه هو كلمة نعم.»

علمت أن عليها التحدث معه بما تفكر به، ولكن افراد العائلة تنظر إليها الآن، لذلك نظرت إليه نظرة ذات معنى وقالت: «فرانك، إنك تتصرف بتهور.»

كانت ابتسامته تزيد من اعجابها به. وفي الواقع وجود عائلتها حولها لم يخفق من اعجابها به لكن أنقذها من اظهار ذلك علناً.

قال واعداً: «سيدتي، لم تشاهدي أي شيء بعد.»

علمت أنه يقول الحقيقة، وشعرت كأنها تقف على منصة درج الطائرة بعد رحيلها. وهي تقاوم كي لا تسقط في أية لحظة.

تراجعت دونا، مثلما توقع الجميع: «حسناً سنذهب أولاً إلى المنتزه ثم إلى إبرة الفضاء بعد ذلك.»

ابتسم وهو يضع بطاقة الاعتماد على الصحن بجانب الفاتورة التي أحضرتها النادلة. ابتعدت النادلة بها وهو يقول: «اختيار جيد.»

ارادت دونا أن تعرف: «هل تحصل دوماً على ما تريده؟»

أجاب بغموض: «معظم الاحيان وهذا ما يجعلني مليئاً بالأمل.»

فكرت مليئاً بالأمل بماذا، وهذا ما كان يشغلها.

بدأ فرانك بالحديث مع ولديها عن مزايا باغز باني بالمقارنة مع غارفيلدز. استمر حديثه مع الولدين لفترة طويلة.

بالكاد كانت دونا تهز رأسها. فذلك الرجل غير معقول.

• • •

كان تايلور وستيفن يجران فرانك بالمنتزه من لعبة إلى أخرى. حاولت دونا أن تبتعد، لكن لم يسمح لها أحد بذلك. فالجميع متفقون ضدها. ليزا، تايلور ستيفن وفرانك خاصة فرانك كانوا جميعاً في جهة وهي في الجهة المقابلة. كان هناك دائماً من يمسك بيدها ليشدها إلى احدى الالعاب، وقد أمسكت بيده عندما انزلقا في لعبة الموت. صرخت بقوة من دون أن تفكر فشعرت بالاحراج، لكنه ضحك فقط متسلياً مما يغضبها. لكنها لم تستطع البقاء غاضبة لأنه كان هناك لعبة جديدة بانتظارها. ومنظر آخر عليها رؤيته.

استمر الجميع في اللعب والتنقل في المنتزه طوال فترة بعد الظهر. فكرت أنها تتمتع برفقته، مع أنها لا تريد ذلك. لا تريد هذا الاندفاع في عاطفتها.

كانت خائفة.

عندما انتهى النهار جلست دونا وليزا على العشب كي ترتاحا، ورمى فرانك نفسه أرضاً مع تايلور وستيفن على بعد خطوات منهما.

ضحكت ليزا، وهي تراقبهم: «لم أر في حياتي كل هذه الطاقة على اللعب عند أحد.»

زعق ستيفن، وضحك. شده فرانك إليه ورماه أرضاً. قفز تايلور على فرانك ليثبته كما يفعل ورستلز على التلفزيون. تظاهر فرانك انه لا يستطيع الحراك.

كم هو أمر رائع رؤيتهما سعداء: «أعتقد أن الولدين كانا يخزنان كل تلك الطاقة.»

نظرت ليزا إليها: «كنت أتكلم عن فرانك، إنه مدهش فعلاً.»

هزت دونا رأسها. فعطاؤه غير محدود. فهي بالتأكيد لن تستطيع الاستمرار مع ولديها بالطريقة التي يقوم بها الآن.

«نعم، إنها الكلمة الصحيحة.» ابتسمت، شدت ركبتيها إلى صدرها وأراحت ذقنها عليهما: «أعتقد أنهما يفتقدان وجود رجل في حياتهما.» عاد الاحساس القديم يتسلل إليها: «لقد اعتاد طوني على التعامل معهما هكذا، يأخذهما نهار الاحد إلى المنتزه ويظل يطاردهما حتى يقع الجميع أرضاً من الارهاق.»

ظهرت تعابير غامضة على وجه ليزا: «هل تعلمين، أتنكر يا دونا...»

انفعلت دونا. فهي تعلم تلك اللهجة. والكلمات التي ستتبعها لا تريد سماعها أبداً: «انسي الموضوع ليزا.»

أصبحت ليزا دفاعية بلمحة البصر: «لم أتفوه بكلمة بعد.»

كان من الاسهل عليها أن تقفل الموضوع ولكنها لن تكون صديقة حقيقية لها. وهي لا تتراجع بسهولة عما تراه صواب.

«حسناً، بما أنك عرفت بما سأتكلم، دعيني على الاقل

أعبر عن رأيي.» رأت نظرات التحذير في عيني دونا، لكنها تابعت بسرعة: «يجب عليك البدء بالتفكير في الزواج مجدداً منح الولدين والداً جديداً.»

ظهر الألم على وجهها. كيف يمكن لليزا التفوه بمثل هذا الكلام؟ إنها شقيقة طوني وأجابتها: «ان لديهما والد.»

لم تتراجع ليزا بسهولة: «حسناً، شخص يحبهما ويعطف عليهما، اذن.» اقتربت أكثر منها، وقالت بهمس، لأنها لا تريد أن يسمع فرانك حديثهما: «إنهما بحاجة إلى رجل في حياتهما وأنت أيضاً كذلك.»

تنهدت دونا بعمق وركزت انتباهها على الالعاب التي تقام على بعد خطوات منها. كان فرانك يحمل ستيفن على كتفيه، بينما تايلور يصرخ ليحمسهما. كان من الصعب عليها أن لا تلاحظ كل هذا الفرح على ولديها.

مع ذلك حاولت تجاهل ما تلمّح إليه ليزا بقولها: «بالطبع يحتاجان للحب في حياتهما وأحب أن أفكر أنني أستطيع تأمين ذلك لهما معك.»

صمتت ليزا لحظة واعتقدت دونا أن النقاش قد انتهى. لكنها سألت: «حسناً، وماذا عنك؟»

نظرت دونا إليها: «ماذا تعنين؟»

فكرت ليزا، انها تتهرب من الموضوع، لكنها كانت مصممة على اجبارها على الاعتراف بأن حياتها غير مكتملة وأنها بحاجة لمن يحبها وتحبه: «ألست بحاجة للحب في حياتك؟»

نظرت دونا إلى ولديها. إنهما كل حياتها ويكفيها ذلك: «إني أحصل عليه.»

«اقصد من شخص كبير قادر على التضحية والحب، دونا، ما زلت شابة جداً.»

فقدت دونا أعصابها نهائياً: «لقد قلت لك ان تصمتي، ليزا.»

احتفظت ليزا بكبريائها وقررت أن تعاود الحديث يوماً آخر. رفعت يديها منسحبة: «فقط أكره أن أرى شخصاً أهتم له يتصرف بطريقة خاطئة.»

عاد الفرح إلى عيني دونا وهي تنظر إليها: «وأنا أكره أن أرى شخصاً أهتم له يضع قطعة قماش سوداء على عينيه، أليس كذلك؟»

ضحكت ليزا: «آه، آه، كم تتوترين عندما نختلف، أليس كذلك؟»

قالت دونا ناصحة: «لا تبدأي.»

في اللحظة التالية، وقع عليها ولديها وهما يضحكان، وبالكاد يستطيعان التنفس كي يشكلا كلمات واضحة.

جلس فرانك بالقرب من دونا عندما فسح ستيفن له مكاناً: «مهما كنت تدللين هذين الولدين. أعتقد أنه يجب أن تبلغي الحكومة بذلك، فستتعرض لقوة كاسحة عندما يكبران.»

كان قريباً جداً منها، كانت تشعر بوجوده بقوة، وهذا احساس غير مريح. نظرت دونا إلى طفليها المرهقين. كانا يمدان يديهما على العشب، ويبدوان أنهما لا يستطيعان الحراك لأي سبب كان.

قالت بفرح: «ربما نستطيع تسمية هذا النهار اليوم الكبير.»

نظر فرانك إلى الشمس، وقد بدأت بالمغيب مرسلة

أشعتها الذهبية على الحقول. وتنعكس أضواءها في السماء. هز رأسه مفكراً: «حسناً.»

غاب التعب والارهاق كله عندما نهض ستيفن معترضاً: «آه هل يمكننا؟»

نظر إلى فرانك، وليس إليها، لاحظت دونا ان الامور تفلت من يديها.

تابع فرانك وكأن أحداً لم يقاطعه: «ولنبدأ بالحديث بشأن المساء.» نظر إلى تايلور وستيفن: «هل تشعران بالجوع؟»

جلس تايلور وهز رأسه.

صرخ ستيفن: «تريد المراهنة!»

ضحك فرانك وضم الولد إليه. حدث ذلك بصورة تلقائية. وكأن هكذا يجب أن تجري الأمور: «لما لم يفاجئني الأمر؟»

نهضت ليزا وهي سعيدة من تطور الموقف وقالت: «سآخذهما إلى مكان كي ينظفا فيه ثيابهما وهكذا نستطيع الذهاب إلى أي مكان يريده فرانك.»

قالت ذلك وكأنه أمر واضح، ثم نظرت إلى دونا من فوق كتفيها.

مع ذلك، أمسكت كل ولد من يده وسارت مبتعدة.

غمرت دونا ركبتيها وهي تراقبهم يبتعدون: «أصبحت المشكلة جزء من العائلة الآن.» كانت تقول ذلك لنفسها أكثر مما تقوله لفرانك: «والسبب في ذلك أن لا رأي لي بذلك.» دارت برأسها عندما لمس شعرها. أمسك ورقة بيده وقال: «لديك ورقة للخلاص.»

أصبحت متوترة، فكر فرانك أنه لا يعرف إن كان هذا أمر جيد أم لا. كل الذي يعرفه أنه متوتر وسعيد في الوقت نفسه.

لا يستطيع حقاً ان يعرف ما به. لكنه يشعر أن ذلك الجزء من حياته، والذي اضاعه كل عمره، قد وجده أخيراً.

رمى الورقة جانباً، من غير أن تبتعد عيناه عن وجهها. أصبحت عيناها واسعتين عندما لمسها: «ربما يجب أن تتوقفي عن السير بمفردك لفترة وتنضمي للجميع.»

رفعت ذقنها عالياً: «إنني أتمتع بوقتي جيداً.» احمر وجهها وتنهدت، مررت يدها على شعرها: «آسفة، لم أقصد أن أرد عليك هكذا.»

هز كتفيه مستخفاً باعتذارها: «لست سوى انسانة عادية.»

لماذا يتصرف بهذا الشكل؟ كان يجعل الأمور أكثر صعوبة لتبتعد عنه: «لا تفعل.»

شد حاجبيه مستفهماً: «لا أفعل ماذا؟»

تنهدت ثانية: «لا تكن متوافقاً هكذا.» شعرت وكأنها غبية فعلاً.

«هل يساعدك ان طلبت الوقوف بقربك لفترة؟»

فكرت، انه يضحك عليها. اغمضت عينيها وهزت رأسها، قائلة: «قصدت بذلك أنك مثالي جداً.»

لم يتمكن من أن لا يضحك: «يبدو أنك أول من ينعتني بذلك.»

لم تستطع أن توضح له ما تفكر به: «يحبك الولدان كثيراً.»

ابتسم، فهذه الاخبار ليست جديدة عليه: «وأنا أيضاً أحبهما.»

هو حقاً يفعل ذلك. وأسرع بكثير مما كان يظن.

تابعت، مصممة أن تجعله يفهم، ومصممة أن توضح له الأمر: «لا أريد لهما أن يتعلقا بك.»

«لماذا؟»

كيف يمكنه أن يسألها ذلك؟ فالأمر واضح. اجابته: «لأنك ستغادر قريباً وسيفتقدان لك كثيراً.» لم يعد المستقبل فرصة ضائعة. لقد أصبح كثيفاً كالضباب منذ اللحظة الأولى التي رآها فيها.

«لما لا نتقدم خطوة خطوة الآن، وعندما يحين وقت ذهابي، سنرى ماذا سنفعل؟»

ليس هناك من شيء يفعلونه معه. فهو له حياته الخاصة كذلك هم: «نرى ماذا؟»

سمع الولدان يصرخان باسمه على بعد مسافة قريبة منه. لف خصلة من شعرها على اصبعه: «أي شيء يمكن أن نراه.» لا يستطيع أن يجعل الامور أكثر وضوحاً لكليهما.

شدت بشعرها بعيداً، لكنها لم تستطع أن تفعل ذلك بعينيها: «لقد أصبحت سراً مبهماً.»

ضحك وهو يقول: «هكذا هي الحياة.»

«أنا...»

لكن، عودة الولدين جعلها تكتم ما تريد قوله. ولو لفترة قصيرة.

نهض فرانك على قدميه برشاقة. مد يده لها منتظراً. وعندما وضعت دونا يدها بيده، كان لديها انطباع أكيد أنها قد أحست برباط قوي حصل بينهما.

وحاولت أن لا تفكر بذلك.

كانت المناظر الخلابة من مطعم أبرة الفضاء. لا تقدر بثمن.

قال فرانك لتايلور وستيفن ما ان جلس الجميع إلى الطاولة: «وكأنك تجلس على قمة العالم بأسره.» كانت المدينة تظهر تحتهم وكأنها امرأة ثرية ترتدي عقوداً وأساور من الماس تلمع بشدة في الليل. تأثر فرانك كثيراً بالمنظر: «ليس هناك أدنى تشابه بين هذا الجمال وبين المكان الذي اتيت منه.»

قال ستيفن فجأة: «من أي بلد أتيت؟» وجثا على كرسيه ليتمكن من مشاهدة المنظر أكثر.

ربتت دونا بلطف على يده حتى يجلس بتهذيب أكثر. تنهد ستيفن وعاد ليجلس مكانه.

«لقد أمضيت أكبر جزء من حياتي في مكان يدعى ويلمنغتون فولز.» حدق به تايلور وستيفن بدهشة: «إنها في كاليفورنيا.»

فكر تايلور بالنهار الذي أمضاه في التنزه ونسي أنه أصبح في الحادية عشرة من عمره ويتطلع بشوق إلى سن أكبر: «هل هناك منتزهات في المكان الذي تعيش فيه؟»

ضحك فرانك. فعندما انتقلت عائلته إلى ويلمنغتون فولز، كانت المنطقة ريفية جداً، وهذا ما أزعجه واجاب: «معظم أراضيها تبدو كالمنتزه.»

صرخ ستيفن: «رائع.» وكاد من فرط حماسه أن يسقط عن كرسيه.

أمسك به فرانك قبل أن يقع: «أعتقد ذلك.» نظر بالتحديد إلى دونا وهو يتابع: «لكن أصبح لديهم الآن مطار يبعد عشرين ميلاً وبذلك لن تشعر بالصدمة من البعد الحضاري.» أعاد انتباهه إلى ليزا ليتابع: «أستطيع

القول اننا نحظى بأفضل ما في المدينة والريف معاً.»

سألت دونا، عاقدة حاجبيها: «تحاول أن تبيعنا أرضاً هناك، يا سيد هاريغاين؟»

قال مخاطباً: «ليس بالخبز وحده يحيا الانسان.»

ساد الصمت لفترة قصيرة.

«حسناً.» وعندما نظر الجميع إليها، رفعت ليزا كوبها لتقول: «لنشرب نخب هذا اليوم الرائع.»

هز فرانك رأسه: «ولمساء أشد روعة.»

نظرت دونا مباشرة إلى كوبها بينما صرخ ولديها فرحاً. لم تستطع أن تتذوق سلطة القريدس الذي طلبته للعشاء. فلقد كانت معدتها تتقلص بشدة من الاضطراب الذي تشعر به.

الفصل السابع

مر فرانك بسهولة ما ان فتحت دونا له الباب، كان يحمل ستيفن بين ذراعيه الذي قد نام متعباً في السيارة بعد ان غادروا المطعم.

اسرع تايلور وهو يتخطى عمته، والدته وفرانك وسار بسرعة متجهاً إلى غرفة الجلوس.

اغلقت ليزا الباب بينما استدارت دونا نحو فرانك: «حسناً، سآخذه منك الآن.» وضعت يدها على ستيفن، لكن فرانك هز رأسه.

«حملته كل تلك المسافة، وبالطبع استطيع حمله بعد خطوات قليلة. ارِني فقط اين غرفة نومه.»

أسقطت دونا يديها واستدارت لتدله على الطريق، كانت تشعر بالتعب هي أيضاً، وبالتوتر، اجل متوترة جداً، لكن هذا لا دخل له باليوم الطويل الذي امضته ولا بالرجل الذي كان بصحبتهم مع انها كانت سعيدة.

شيء ما سيحدث، مع ذلك، لم تكن تعلم ما هو هذا الشيء لكنها كانت منتظرة حدوثه.

سارت نحو غرفة نوم ولديها المرتبة والنظيفة.

لقد بقيت انجيلينا في البيت طوال النهار، فالرفوف مليئة بالكتب المرتبة والالعاب في صندوقها الخشبي والسريران على الجانب الآخر في الغرفة مرتبان ايضاً.

قالت لفرانك: «ينام ستيفن على السرير الأرضي، لأنه يخاف من الامكنة العالية.»

«لا شك انك تمزحين. فلقد كان ستيفن أول من طلب اللعب بالدائرة الكهربائية، ولا شك ان اية عاصفة لا يعقل ان تكون بسرعتها أو تصل إلى ارتفاعها.»

اعترفت دونا: «يخاف ساعة يشاء.»

نزعت الغطاء عن السرير فوضع فرانك الولد عليه... فكت ازرار قميص ستيفن، ونزعته من تحت الحزام، بعدها نزعت له حذاءه. لم تحاول ان تلبسه بيجامته هو بحاجة للنوم اكثر من أي شيء. انحنت نحوه وبرفق قبلت جبهته.

تمتمت وهي تضع على الولد النائم غطاءً. «سيصاب غداً بخيبة أمل لأنه لم يستمر في اللعب حتى نهاية النهار.»

وقفا للحظة، ينظران إلى ستيفن، لم تحاول دونا التفكير كم يبدو مناسباً ذلك. وقوفها بجانب فرانك، محدقة بابنها.

هز فرانك رأسه، ثم ضحك: «هل تعلمين، بالنسبة إلى عمره، يعتبر ثقيل الوزن، لا بد ان ذلك يعود للطعام الذي اكله عند الصباح.»

رفعت دونا حاجبيها وقالت هامسة: «البان كيك والهوت دوغ والهمبرغر كذلك الحلوى...»

رفع فرانك يده ليمنعها من متابعة الحديث: «حسناً لقد فهمت ما تقصدين.»

اشعلت دونا الضوء الصغير ثم اطفأت نور الغرفة الرئيسي. وبنعومة اغلقت باب الغرفة: «لقد اعتقدت انه سيصاب بألم هناك من جراء ذلك.»

كان الضوء في الممر خافتاً، ويعكس ظلالاً على الحائط، ابتسم فرانك وهو يراقب تقارب ظلالهما، متسائلاً اذا كانت هذه الظلال تعكس حياتهما في المستقبل.

«لقد كنت صغيرة يوماً.»

تنهدت دونا للحظة صغيرة، مرت مسحة من الحزن على وجهها: «وتلك الفترة ليست طويلة كفاية.» لأن الطفولة فترة من الخداع، حيث يشعر المرء بالامان وبالفرح.

وضع فرانك يده على كتفيها وهما يسيران نحو غرفة الجلوس. فعل ذلك بطريقة لا شعورية، حتى ان دونا لم تدرك ذلك في البدء، ولم تنفعل من قربها منه، فهو يجعل الأمور سهلة وبسيطة جداً لها.

احست بشعور غريب، فنظرت اليه.

فكر ان عينيها كبيرتان وجميلتان جداً: «هل تتمنين لو انك ما زلت طفلة يا دونا؟»

هزت رأسها: «لا ليس طفلة، اعتقد أني احب ان اجد من يعتني بي، احياناً ولفترة، فهو أمر جميل ان تجد...»

توقفت عن الكلام مدركة إلى اين سيوصل كلامها. ضاقت عيناها، فلقد انزلقت بالكلام مرة ثانية: «كيف تفعل ذلك؟»

لم يفهم ما الذي تسأل عنه فسألها: «افعل ماذا؟»

فكرت دونا، ان عليه ان يعرف عما تتكلم: «تجعلني اقول اشياء لا رغبة لي في قولها.»

ضحك، مما زاد في توترها. نظر مباشرة في عينيها: «إني استمع، فانت لن تقولي ذلك لو ان هناك شيئاً لا تريدين المشاركة به.»

كان يقول الحقيقة. لكنها لا تريد الاعتراف بذلك، ليس له وليس لنفسها، ان فعلت ذلك، ستبدأ باختراق جدران حياتها. جدران بنتها حول نفسها لتكون قوية، ولتبقى قوية، من اجل مصلحة ولديها.

اتى تايلور لينقذها. وقف امام باب غرفة الجلوس، حاملاً بيده الغيتار وكأنه يحمل جوهرة نادرة، نظر بخجل إلى فرانك، من غير ان يعلم انه قد قاطع شيئاً مهماً بين والدته وبين الرجل الذي انجذب اليه بسرعة.

«هل تستطيع، ربما تستطيع ان تعلمني ثانية؟» نظر تايلور إلى الأوتار وكأنها هي المسؤولة عن عدم قدرته عن عزف اية اغنية: «اظن انني نسيت كيف أعزف.»

قال فرانك مشجعاً وهو يمسك بالغيتار: «لم تنس ذلك.» وسار نحو غرفة الجلوس: «انها موجودة في فكرك في مكان ما.»

نظر اليه تايلور مستفهماً، شعر فرانك برغبة لمداعبة شعر الولد، لكنه لم يفعل. فتايلور يحاول جاهداً ان يبدو اكبر من عمره. «انك لا تنس أي شيء تعلمته.»

جلس فرانك على الكنبة. ربما من السهل على تايلور ان يتعلم الأغنية ان كانت مكتوبة امامه: «هل لديك ورقة؟ استطيع ان اكتب لك النوتات.»

اسرع تايلور إلى المكتبة، وفتح احد الجوارير، ابعدته دونا بهدوء واعطته ورقة وقلم. اخذهما بسرعة وركض نحو فرانك.

سأل برهبة: «هل تستطيع كتابة نوتة الموسيقى؟»

امسك فرانك الورقة وبعناية رسم عدة خطوط مشكلاً سلماً موسيقياً، وبدأ يملأه بالنوتة. «قليلاً.»

رفع تايلور رأسه وهو يدرس النوتة التي رسمت على الورقة: «هاي، هل هناك أي شيء لا تستطيع القيام به؟» كان الاعجاب واضحاً في كل كلمة يلفظها.

بصعوبة استطاعت دونا ان تخفي توترها، وعندما نظر فرانك اليها، ابعدت عينيها عنه فضحك.

فكر انه يتصرف بالفطنة، لكنه لا يستطيع الا التمتع بذلك.

اعاد نظراته اليها وقال: «احاول ان اتأكد من ذلك.»

قالت وهي تغادر الغرفة: «لا اعتقد انه من الصعب اكتشاف ذلك.»

سمعت ضحكة فرانك الناعمة.

بعدها دوت الحان غرين سيلفز في القاعة، اغمضت دونا عينيها. فتجاهله، اصبح اصعب واصعب في كل لحظة.

• • •

اعطت دونا فرانك وتايلور نصف ساعة ليمضيانها معاً، وقد احست ان ذلك الوقت كافٍ فرجعت إلى غرفة الجلوس. لكن لم يلاحظ احد منهما وجودها. كانا منصرفين لتعلم الموسيقى، فقد كان فرانك يضع يده فوق يد تايلور ليريه كيف يضع اصابعه على الأوتار. وبذلك يستطيع العزف بسهولة اكثر.

لم ترد دونا ان تنظر اليهما عن كثب، لكنها مع ذلك فعلت... كانا يبدوان كأب وابنه. وهذا ما يستحقه كل صبي... رجل في حياته يعلمه كيف يسير على دروب الحياة.

فكرت بحزن، وهذا ما لن يحصلا عليه ابداً، لأنها خائفة جداً. حاولت السيطرة على التوتر في نبرة صوتها وهي تقول بصورة طبيعية: «لقد فات وقت نومك يا تايلور.»

نظر تايلور، متعجباً من رؤيتها. «آه، يا أمي، غداً يوم الأحد، استطيع ان انام قدر ما اشاء.»

علمت ان عليها ان تكون حازمة. فالنظام يخترق بسرعة في بيتها: «لقد سهرت ساعة زيادة عن موعد نومك، حتى في ايام العطلة.» انحنت قليلاً ونظرت مباشرة في عينيه. ابعد تايلور رأسه لكنها رأت ما تريد رؤيته: «كما وانك تشد عينيك بقوة لتتابع السهر.»

كان التعب واضحاً على عينيه من شدة الاحمرار.

ضغط تايلور على شفتيه بعناد. ثم قال بصوت مخنوق: «لا، لا اشعر بالنعاس.» حف عينيه قليلاً، لكنه بقي في مكانه والغيتار في حضنه، شعر فرانك انه يقف في وسط هذا النزاع وهذا ما لا يريده، خاصة انه لا يريد ان يغضب دونا، وضع يده على عنق الغيتار، نظر تايلور اليه متسائلاً: «اسمع إلى ما تقوله والدتك، يا تايلور.»

ابعد تايلور يده عن الغيتار، وقال: «حسناً، مساء سعيد.» وخلال دقيقة، غادر الغرفة.

اخرجت دونا نفساً عميقاً من صدرها وهي تراقب ما يحدث. فهي غير راضية عن كل ما يجري.

وضع فرانك الغيتار جانبا ونهض ثم وضع يديه في جيبي بنطاله: «هل هناك ما يزعجك؟»

نعم، كثير من الأمور تزعجها، أجابت: «عندما قلت له ليذهب إلى النوم، لم يفعل بل اعترض بعناد، وعندما طلبت انت منه ذلك، اسرع بالقبول.» نظرت إلى باب الغرفة وتنهدت ثانية.

هز كتفيه: «انني شخص جديد بالنسبة إليه، وهذا الاحساس سيختفي مع الوقت.»

عقدت دونا ذراعيها على صدرها: «وماذا ان لم يختف؟»

لم يفهم تماماً ما الذي تعنيه، فسألها: «عفواً، لم افهم؟»

تتأذى عواطف الاطفال بسرعة، وان الأمر صعب جداً على ستيفن وتايلور لأنهما بلا والد.

«ماذا اذا الاحساس بك كشخص جديد لم يختف قبل ان ترحل؟»

وماذا ان لم ارحل؟

دهش فرانك، فهو لم يفكر بذلك مطلقاً قبل ان تلمع الفكرة برأسه فجأة. بالطبع عليه ان يرحل، فلديه حياة مليئة بعيدة عن هنا، ومسؤوليات كبيرة لكن دونا هنا.

فهي تحجزه هنا، وكأنها طاقة كبيرة من المغناطيس وهو ليس الا قطعة من المعدن، ينجذب بغير ارادة منه اليها...

لم يتمكن من مقاومة شعوره، شعر برغبة في لمسها، وبنعومة أمسك شعرها بأصابعه. فحتى هذه اللمسة اثرت بهما كثيراً، رأى تلك النظرة الناعمة تظهر في عينيها، نظرة انطبعت داخل روحه. كيف حدث كل ذلك بهذه السرعة؟

للحظة كانت الأرض الذي يقف عليها جامدة، وفي اللحظة التالية كان هناك اعصار قوي حطم الأرض تحت قدميه، وجعله يشعر وكأنه مراهق من جديد.

قال بصدق: «دونا لا تضعي العقبات بيننا بالافتراضات، وهذا سيحرمك من اشياء انت تريدينها، اشياء نريدها معاً.»

بدا الشوق واضحاً في عينيها، شوق يرافقه الحذر والخوف. فهي لا تستطيع ان تبعدهما عن بعض. قال: «لا يمكنك ان تديري ظهرك لصداقة ممكنة...» لقد استعمل هذا التعبير لأنه وجده اكثر اماناً لها وله ايضاً. فجزء منه مازال يفكر في الابتعاد عن هذا المنزلق الخطر الذي يهوي فيه، لكن هذا الجزء كان يضيق ويضيق. «وبسبب انك خائفة هذا

لا يعني انك ستبقين هكذا للأبد.» تابع وهو ينظر في عينيها: «لانه ربما قد يحدث ذلك فعلاً.»

تساءلت ان كان يسمع خفقات قلبها، تساءلت ان كانت سيتل كلها تسمع دقات قلبها: «انت تعني نحن؟»

قرب يديه من وجهها: «انه أمر بديهي، تعاملي معه بالطريقة التي تناسبك.»

في اللحظة التي كان فيها سيقبلها، دخل تايلور إلى الغرفة. ابتعدت عنه بسرعة وكأن يداه تحولت إلى قطعتين من نار. نظر تايلور إلى فرانك فقط.

سأل وكأنه يتابع حديثاً لم ينقطع بعد: «هل تستطيع اعطائي درساً غداً؟»

تنفس فرانك بعمق، فلقد شعر وكأنه يترنح. ماذا تفعل به؟ «احب ذلك.»

نظر إلى دونا: «هل استطيع؟»

وقفت جامدة، وولدها يحدق بها برجاء، بينما كان فرانك ينظر اليها فقط مسيطراً على ارادتها بعينيه الخضراوين، تنهدت، فكيف يمكنها الرفض؟

هزت رأسها وقالت: «لا رأي لي بذلك مرة ثانية.»

«شكراً يا أمي.»

قال فرانك: «سأحضر عند التاسعة صباحاً.» فحتى لو قال له انه سيحضر عند الفجر لكان وافق تايلور وبشوق.

قالت دونا بحزم: «الساعة العاشرة.»

قال فرانك موافقاً: «حسناً العاشرة.» نظر إلى تايلور. ولمعت فكرة برأسه فجأة: «هاي، اليس مارينرز في المدينة؟» لقد سمع ذلك على الراديو وهو في طريقه إلى البيت من المطعم.

ابتسم تايلور ابتسامة لا يستطيع أي رسام ان يرسم اجمل منها وأجاب: «آه، اجل.» لم يكن هناك من حاجة لسؤال. نظر فرانك إلى دونا ليرى ردة فعلها. لاحظ انها مستسلمة، فهذا شجعه كي يتقدم اكثر.

رقص تايلور من الفرح: «هل اقدر!» متمنياً ان يسأل فرانك لو يأخذه لمشاهدة المباراة.

قال واعداً: «ربما بعد ان ننتهي من درس الموسيقى، تستطيع الذهاب. سأرى ان كنت استطيع الحصول على بطاقات، واعتقد انه يجب ان تذهب إلى النوم الآن، تايلور فالغد سيكون يوماً رائعاً.»

«هل تراهن على ذلك!» خرج الولد يقفز فرحاً من الغرفة. كان فرانك يحتل مركز دونا بالاهتمام بعائلتها، ولا حق له بذلك.

قالت له بقلق: «لقد فعلت ذلك ثانية.»

استدار لينظر اليها، فحتى لو لم يشعر بغضبها، كان يرى ذلك في عينيها، «ماذا؟ جعلته سعيداً؟»

كان يلعب على الكلام، ويزيد من توترها، فليس بالأمر السهل ان تكون أماً وأباً لولدين ومع ذلك تدير شؤون عمل بالغ الخطورة.

قالت محبطة: «لا، انا... آه، لا شيء.» ابتلعت الكلام الذي كانت ستقوله وسارت مبتعدة فلحقها وأمسك بمعصمها.

وعندما نظرت اليه متفاجئة، ضمها اليه. خف غضبها: «يبدو انك لا تفضلين الا الاشياء الصحيحة.»

كان هناك كثير من التشابه. تشابه جعلها تقلق، جعلها ترغب في التراجع بسرعة قبل ان تتمكن من ذلك.

«انك مندفع تماماً كما كان زوجي.»

لم يكن يريد ان تقارنه بشخص تألمت بسببه، كان يريد حباً جديداً يغير حياتها... «كل شخص مختلف عن الآخر، دونا انظري إلى الفوارق.»

وضع يده على كتفيها، وابعدها عنه، كان خائفاً من نفسه، فهو لا يشعر انه قوي كفاية بجانبها، وهي بحاجة إلى عناية، إلى حب كبير يساعدها على التخلص من مخاوفها وقلقها.

«اراك غداً صباحاً.»

ارادت دونا ان تقول لا، لكن الكلمة الوحيدة التي لفظتها كانت: «حسناً.»

كانت الكلمات لاتزال تضج في رأسها بعد ذهاب فرانك، تنهدت بعمق، ما الذي حدث لها؟ فهي لا تعرف الرجل الا منذ يومين، ومع ذلك فهي منسجمة معه باحساسها وبعاطفتها اكثر مما كانت منسجمة مع اي كان، فهي لم تتأثر ابداً بوجود رجل هكذا.

نظرت نحو الباب قلقة، فمنذ يومين فقط كان تفكيرها صاف والطريق التي رسمتها لنفسها واضحة، اما الآن اوجد فرانك بحياتها عقبات لم تكن جاهزة لها.

عقبات، وان لم تكن حذرة، ستنزلق عليها.

«هل ذهب؟»

جمدت دونا واستدارت لترى ليزا تقف عند باب غرفة الجلوس. «اين كنت عندما كنت بحاجة اليك؟» الوفاء أمر جيد ومهم، ولكن الوفاء لذكرى شيء لا قيمة له، هذا ما فكرت به ليزا وهي تراقب دونا. خاصة بعمرها، ولديها ولدين عليها الاهتمام بمستقبلهما.

«تماماً حيث يجب ان اكون، بعيدة عن هنا.» نظرت ليزا نحو الباب وابتسمت: «لم يكن ليضمك اليه لو كنت هنا.»

«كيف عرفت ذلك؟»

اقتربت ليزا من دونا وامسكت بذقنها ونظرت في عينيها: «الأمر واضح في عينيك.»

هزت دونا رأسها، فهي ليست سعيدة بما يحدث، ولا تحب ان تفقد السيطرة على نفسها، اخذت تدور في الغرفة ترتب اشياء رتبتها من قبل انجيلينا.

استدارت لتنظر إلى ليزا يائسة: «الشيء الوحيد في عيني هو الارتباك. من هو هذا الرجل، ليزا؟ من هو؟ ما الذي يفعله هنا؟»

مررت يدها في شعرها: «لماذا دخل فجأة في حياتي ليتدخل بكل ما يعنيني؟»

كانت تلك الاسئلة ترهقها، لأنها لا تجد لها جواباً.

اقتربت ليزا منها، وهزت كتفيها: «لماذا؟ لا يهم. المهم انه يفعل، ربما الحظ أرسله اليك لأنك بحاجة إلى رجل في حياتك.»

رأت ليزا احمرار وجه دونا: «يجب ان تكتشفي ذلك بنفسك.»

ربتت على خد دونا باهتمام، انها لا تكبر دونا الا بثلاث سنوات، لكنها تشعر بعاطفة الأمومة نحوها: «تمتعي بحياتك، ولا تحاربي التغيير.» رأت نظرة القلق في عينيها، علمت كيف تشعر دونا، انها خائفة، خائفة من البدء من جديد. لكنها ان لم تغامر، فلن تتغير حياتها ابداً. «على الأقل حاولي ان تكتشفي شعورك. وسنكون كلنا بجانبك ان لم ينجح الأمر.»

هزت دونا رأسها: «الا تفهمين ما اعني؟ لا اريد ان تنجح هذه العلاقة، لقد نجحت مع طوني. وما الذي حصلت عليه؟»

اجابت ليزا ببساطة: «ولدان رائعان.» امسكت بيد دونا وكأنها تحاول التخفيف من مخاوفها. «ليس هناك شيء إلى الأبد، وكل ما نتمناه ان نحصل على الحب الحقيقي لفترة من الوقت.» نظرت ناحية الباب وتابعت: «لا شك انك محظوظة.»

لم تكن تشعر انها محظوظة، بل كانت تشعر وكأنها تسير على فوهة بركان ولا تجد من يخلصها عندما ستقع. «لما لم تتزوجي بعد، يا ليزا؟»

ابتسمت ليزا بخفة: «لأنني لم اغرم بعد.» نظرت إلى دونا مباشرة في عينيها. «لكنك مغرمة به، دونا لا ترمي ذلك الحب بعيداً.»

• • •

«جاهزة؟»

نظرت دونا إلى فرانك وهو يدخل مكتبها، كان قد امضى اكثر من ساعة في غرفة الجلوس، يجيب على اسئلة ستيفن الذي كان يساعد تايلور في عزفه على الغيتار. وفي الحقيقة اصبحت الأغنية غرين سيلفر واضحة العزف. استغلت دونا الوقت لتراجع فواتيرها ولتتأكد من سير اعمالها.

«جاهزة لما؟»

اقترب فرانك اكثر من المكتب. «الذهاب إلى الملعب لمشاهدة البايسبول. هل نسيت؟»

كانت تتمنى ان ينسى هو أمر الذهاب إلى هناك، أو ربما

احضر بطاقة للولدين فقط سألته: «هل حصلت على بطاقات؟»

«لقد حصلت على البطاقات.» وليؤكد لها ذلك، سحب البطاقات من جيب قميصه ووضعهم امامها.

رفعت دونا نظرها اليه: «خمس بطاقات؟» لا شك ان الرجل يرغب في اقامة عرض جديد لمسرحية الأمس.

هز رأسه، جامعاً البطاقات ثانية: «بطاقة لكل واحد منا، بما فيهم ليزا.»

سألت ليزا، وهي تدخل الغرفة: «بما فيهم ليزا ماذا؟ هل سمعت اسمي يذكر هنا؟»

اخبرتها دونا: «مباراة البايسبول.» ابعدت فواتيرها، فهذه تستطيع الانتظار. «لقد احضر فرانك بطاقة لك، ايضاً.»

تجهمت ليزا: «اشعر وكأنني الدولاب الخامس.»

لن يسمح لها بالانسحاب، فهذا الموعد للعائلة كلها. فالمفتاح للوصول إلى قلب دونا هو عائلتها. كما وانه معجب بتلك المرأة الحكيمة وهو يعلم ان دونا تشعر بالامان اكثر بوجودها، ولذلك عليه ان يستعمل كل الطرق. قال فرانك: «الدولاب الخامس مهم جداً، وانا اجده منقذاً للحياة في الواقع.»

ضحكت ليزا: «انت تعلم كيف تتلاعب بالكلام.» نظرت إلى دونا وتابعت: «هذا الرجل اهم من ان يبعد وان لم تحتفظي به، سأخطفه منك، سأصبح جاهزة خلال دقائق قليلة.» وخرجت مسرعة من الغرفة.

ضغطت دونا على شفتيها، تقاوم الاحساس بالضيق. استراحت في كرسيها وهي تقول: «الرقة واللطف ليست من الصفات التي توصف ليزا بها.»

اقترب اكثر منها وهو يقول: «أرى الأمر مغرياً.»

بالطبع، فليزا تقف بجانبه: «هناك كلمة أخرى تقال، لكننا لن ندخل في هذا الآن.»

تنهدت ونهضت عن كرسيها، هل تستطيع ان تقاوم؟ كما وانها تحب لعبة البايسبول، ولديها شك ان فرانك يعلم ذلك. فلا بد ان سأل احد الولدين ليتأكد. فجأة، فكرت ان كليهما يتطوع ليخبراه بكل ما يريده.

اذا كان عليها الذهاب، فلا بد لها من القيام بأمور كثيرة قبل ذلك. فقالت: «حسناً، اذا كنا سنذهب فلا بد ان اجهز نفسي.» توقفت في منتصف الطريق، ونظرت اليه. «هل وضعت كريم واقي للشمس؟»

كرر ببراءة: «كريم واقي.» شعر بالسعادة لأنها بدأت تقلق بشأنه، فكر انه يقوم بالعمل الصحيح.

قالت فاقدة الصبر: «كريم واقي للشمس.» وكأنها تكلم شخصاً محدود التفكير.

تابعت: «ستجلس فترة طويلة تحت اشعة الشمس ولا تدري ماذا سيحدث لك. اعتقد انه لا بد من وضع واقٍ للشمس.»

وضع ذراعه حول كتفيها وهما يسيران معاً: «أي شيء تقولينه.»

«آه، أجل، طالما اقول كل ما تريد سماعة.»

قال موافقاً: «شيء من هذا القبيل.» ثم اصبح جدياً فجأة نظر حوله للحظة، تأكد انهما بمفردهما. وقال بسرعة: «اريد فقط ان تعرفي، انني لا اتصرف هكذا مع اي كان.» فكر انه لا يستطيع ان يشرح لها احساسه الحقيقي.

اجابته: «في الحقيقة من الصعب تصديق ذلك.»

ضحك فرانك: «بالطبع اعرف الكثير من النساء، ولكن لا اتبع كل امرأة القاها.»

«وما هي المعايير التي تأخذها بعين الاعتبار؟»

كانت تضحك منه، لكنه كان صادقاً: «يجب ان اشعر بشيء ما.» نظر في عينيها. «عندما رأيتك للمرة الأولى، يا دونا شعرت بشيء غريب. وانا لست متأكداً ما هو...»

لم تكن تريد اخذ كلامه بجدية فقالت وهي تضحك: «لقد اعجبت بي.»

علم بما تفكر لكنه لن يسمح لها بالتخلص منه هكذا: «بالطبع تعجبينني، لكن ليس الأمر بهذه السهولة.» بدت وكأنها عصفور في قفص ولا يريد الا الهروب، لكن عليه ان يوضح لها بما يفكر: «لا استطيع تفسير ذلك، لكن كل الذي اعرفه انني ان لم اكتشف ماذا يحدث لي هنا، سأندم على ذلك طوال حياتي.» نظر اليها فرأى نظرة الشك في عينيها: «هل يبدو ذلك جنون؟»

ارادت ان تقول له نعم لتبعده عنها، لكنها لم تستطع، لأن جزء منها يشعر بصدق كل كلمة قالها، جزء منها يتوافق معه. ابعدت نظرها عنه: «ربما قليلاً، وربما لا.»

قالت ذلك بنعومة، لكنه مع ذلك سمعها: «هل تشعرين بذلك انت، أيضاً؟»

هزت كتفيها، وابتعدت عنه، لا تستطيع التركيز عندما يكون قريباً منها، لا تستطيع التفكير بمنطق.

«لا ادري كيف اشعر، اشعر انني مرتبكة، في الحقيقة. لقد اعتقدت انني وضعت صورة واضحة لحياتي. ان اربي

تايلور وستيفن وان اعيش سعيدة بقربهما حتى أرى احفادي. لم افكر انني سأقع في الحب ثانية.»

تفاجأ باعترافها: «وهل حدث ذلك؟»

لقد انزلقت بالكلام. «لا!» تابعت بحزم اكثر: «لقد كنت اتكلم بصورة مطلقة. الذي اريد قوله...»

اغمضت عينيها، واستسلمت. اذا اعترضت فستبدو وكأنها تقصد ذلك واذا لم تقل شيئاً، فكأنها بذلك تعترف بحبها له. لقد فقدت كل الطرق.

«ستجد الكريم في خزانة الادوية في الحمام. سأذهب لأضع بعضاً منه للولدين.»

«اعتقد ان ليزا قد قامت بذلك.» فلقد رأها تخرج من الحمام حاملة وعاء الكريم بينما كان يتحدث مع دونا.

شدت على اسنانها غضباً، مصممة على الابتعاد. «اذن سأذهب لتحضير بعض الساندويشات.»

رفع فرانك يده: «تأخرت كثيراً، لقد سبقتك انجيلينا على القيام بذلك.»

قالت بغباء: «انجيلينا؟ أنت طلبت من انجيلينا ان تحضر السندويشات؟» اومأ برأسه: «متى تكلمت معها؟»

«الآن.»

شعرت دونا انها ستفقد اعصابها. وكأنها تسير على أرض متحركة.

«إذن سأذهب لأغير ثيابي...» نظرت اليه بتحدٍ... «إلا إذا كان أحد ما يقوم بذلك عني.»

«لا.» ابتسم بمكر وتابع: «لكنني استطيع المساعدة.»

وضعت دونا يدها على صدره، مانعة اياه من الحركة:

«افعل ذلك، وهذا سيكون آخر عمل تقوم به في حياتك.»

ضحك: «قد يستحق ذلك العناء، لكن من اجل مصلحة الولدين، سأبقى هنا. فأنا لا اريد لهما ان يشاهدا والدتهما تقدم على ارتكاب جريمة.»

قالت تنصحه: «حافظ على هذا التفكير.» وسارت مبتعدة عنه نحو غرفتها.

عندما وصلت إلى الغرفة، اغلقت الباب وراءها واستندت إليه، بصعوبة تستطيع تحمل ما يحدث لها. فلقد كانت تتأرجح بين الشوق والخوف. بين الاعتراف بحبه وبين النكران. بدا لها وكأنها تركض في حياتها، لكنها لا تدري ان كان الاتجاه صحيحاً أم لا؟ فهي لا تملك مفتاحاً لحل هذا اللغز المحير...

الفصل الثامن

مرت الأيام الستة التالية بسرعة الاعصار، والشخص الوحيد الذي كان هادئاً في وسط تلك الدوامة، فرانك. لم تدري دونا كيف أنه بطريقة ما... أصبح جزءً من العائلة. فلقد كان يأتي كل مساء ليعلم تايلور الموسيقى. وأحياناً يأتي قبل أن تعود من عملها. كان هناك ليمزج حياته بحياتهم، ليقدم اقتراحات عن طهي الطعام لانجيلينا في المطبخ، ليصغي إلى ولديها وهما يخبرانه ماذا حدث معهما في المدرسة، ليتحدث مع ليزا عندما تحتاج إلى من يستمع إليها، وليساعد ستيفن بدروسه.

لاحظت دونا أن الجميع فرح، متقبل وجوده بدون أية مشكلة. كل شخص رحب به في حياته وكأنهم جميعاً كانوا بانتظاره حين يصل. هي الوحيدة التي كانت تجد صعوبة بذلك.

كان فرانك يقوم بأمور كثيرة معهم، أمور بسيطة، مثل أن يصطحبهم إلى السينما لمشاهدة فيلم يعجب الجميع، أو أن يدعوهم إلى العشاء حيث يتمتع الجميع ويتوقف تايلور وستيفن عن الشجار والتهام الاكل الشهي.

لقد تسرب إلى كل خيوط حياتها. ولو تترك نفسها لاحساسها لكانت أحست بالراحة والامان.

هذه كانت غلطتها منذ البداية. فهي لا تتمكن من التأقلم أبداً.

كانت تعلم ذلك، لكنها كانت تقنع نفسها أنها تستطيع

www.elromancia.com

التخلص من توترها وقلقها قليلاً. فلا بد أنه سيرحل في النهاية. وليس هناك من ضرر ان تمتعت قليلاً بوجوده. كما وأنه يجيد طهي الطعام أفضل منها ومن ليزا. فعندما غادرت انجيلينا تلبية لنداء عاجل من أولادها لعدة أيام قبل أن تغادر دونا لرحلة تدوم ثلاثة أيام في سان دييغو. كان وجوده ذات قيمة كبيرة للجميع.

مع ذلك، ما كان عليها الاهتمام به هكذا، هذا ما فكرت به وهي تحمل سلة الغسيل وتتجه نحو سيارتها. بطريقة ما، تغير سير الامور ببيتها منذ قدومه. فمنذ اللحظة التي رأته فيها وهي خائفة.

نظرت بغضب إلى السلة. لو أن الامور لم تجر على هذا النحو، لما نسيت أن تتصل بعامل تصليح الغسالات، والآن لم يعد لدى أولادها ثياب نظيفة للمدرسة، وبدلاً من أن تحضر لنفسها لرحلة الغد، عليها أن تذهب إلى أقرب مغسل وهو يبعد عن بيتها خمسة كيلومترات.

ضجة قوية من غرفة الجلوس منعتها عن الحركة. اسرعت لترى ماذا يحدث هناك وهي لا تزال ممسكة بسلة الغسيل.

عندما دخلت إلى الغرفة، كان ستيفن يقف بجانب الكنبة، واضعاً قدمه على كتاب القراءة.

لم يلاحظ ستيفن أن والدته أصبحت في الغرفة، كان يحصر انتباهه في كتابه: «لن أعرف ذلك أبداً. لن أتعلم القراءة أبداً.» شد برجله كي يرفس الكتاب، لكنه غير رأيه، فهو يعلم ذلك، ان غضب أو لم يغضب فلن تسامحه والدته إن مزق الكتاب. فدونا لديها قيود صارمة بشأن بعض الامور مثل هذه.

لم ينتبه لوجودها لكن فرانك رآها. شعرت أنها غبية، تقف هناك ممسكة بسلة الغسيل، فوضعتها جانباً.

سأل فرانك بصبر: «بالطبع ستتعلم، هل تعلم لماذا؟» أمسك بالكتاب وتظاهر أنه يمسح الغبار عنه.

هز ستيفن رأسه: «لا، لماذا؟»

نهض فرانك ونظر إلى الوجه الغاضب: «لأنك نكي.»

خف غضبه قليلاً، لكنه بقي غير مقتنع: «لو كنت نكياً، لكنت تعلمت القراءة مثلك ومثل والدتي.» مد اصبعه مشيراً نحو شقيقه باشمئزاز: «فحتى تايلور يعرف كيف يقرأ.»

وضع فرانك يده بمحبة على الكتف الصغير: «نعم، لكن جميعنا علينا التعلم بعد مرور فترة من الوقت.»

نظر ستيفن إلى فرانك بدهشة: «أنت أيضاً.»

«بالطبع.» لم يستطع مقاومة، مداعبة شعر ستيفن: «ماذا تعتقد، اننا خلقنا نعرف القراءة؟»

رفع ستيفن كتفيه وزفر بقوة: «عندما ولدت أنا، كنتم جميعاً تعرفون القراءة.»

ضحك تايلور من شقيقه: «هل تعلم، لقد تعلمت القراءة من الصف الابتدائي الأول.»

لمعت عينا ستيفن بالفرح: «ما زلت في صف الروضة.»

أعطى فرانك الكتاب لستيفن: «أرأيت؟ ستتعلم القراءة بسرعة حتى وأنت أصغر من سن تايلور.»

قرر تايلور مغادرة الغرفة بعد أن بدأ ستيفن بالضحك. حيث أمسك بالكتاب وشده إلى صدره.

كتم فرانك ضحكة بصعوبة: «لما لا ترتاح قليلاً وبعدها سأساعدك بعض الشيء؟»

رفع ستيفن رأسه عالياً، وخرج من الغرفة مقتنعاً بما سمع: «أعتقد أنني سأذهب إلى غرفتي لأقرأ قليلاً.»

لم تستطع دونا اخفاء اعجابها مما حدث أمامها: «مشهد مؤثر عن تحليل نفس الاطفال.»

وضع يده في جيب بنطاله واقترب منها، قال مصححاً: «تحليل نفس الانسان عامة، وهذا ينجح دائماً.»

كان يستخف بالأمر وكأنه أمر عادي. لكنها تعلم كيف أن الحرب معلنة بصورة دائمة بين ولديها. لكنه يستطيع أن يتحاور معهما بهدوء وبمنطق وهذا ما يثير دهشتها. خاصة أن الرجل أعزب: «كيف تستطيع أن تكون بهذا الهدوء مع الاطفال؟»

هز كتفيه: «أمر سهل جداً، لقد كنت طفلاً.» نظر إليها، فشعرت بحرارة تجتاحها: «ماذا عنك؟»

هزت رأسها وانحنت تلتقط سلة الغسيل ثانية: «بالتأكيد، منذ مئة سنة مضت.»

نظر إلى الغسيل: «تريدين الهرب من البيت؟»

ضحكت دونا: «فقط كي أصل إلى أقرب مركز للغسيل.»

«أليس لديك آلة لغسل الثياب؟» كان متأكداً أنه قد رأى واحدة في الكاراج.

«نعم، والآن اسألني إذا كنت استطيع اصلاح الغسالة.»

ضحك وهو يأخذ منها سلة الغسيل، وسار وراءها وهي تخرج من غرفة الجلوس: «بالطبع لا، لما لا تعمل؟»

«لا أدري، لكنها لا تفرغ الماء.» نظرت إليه قبل أن تتابع: «كان من المفروض أن أطلب عامل التصليحات في أول الاسبوع، لكنك أصبتني بالحيرة، فنسيت امره كلياً.»

ضحك: «أنا فعلت ذلك، حقاً؟»

ليس هناك من حاجة لاخفاء الحقيقة، شعر أنه يتقدم في التأثير عليها، فتابع كلامه: «إذن، أعتقد أنها غلطتي.»

قالت معترضة: «بطريقة ما.» ثم أضافت: «بطريقة واضحة.» وصلت إلى سلة الغسيل. فقال: «دعيني أراها قليلاً.»

نظرت إليه بشك: «أنت تصلح الغسالات في أوقات الفراغ؟»

كان دائماً يحب حل رموز الآلات، وحتى عندما كان طفلاً كان يفكك كل ألعابه ثم يعيد تركيبها.

أجاب: «أنا سمكري، من يدري؟ فقد أستطيع اصلاحها.»

كانت تعرفه جيداً وتعلم أنه لن يتراجع بسهولة، فقالت له: «هيا اتبعني.»

سارت أمامه إلى كاراج يتسع لسيارتين ولبعض الاشياء التي لم تعد تستعمل.

«إنها هنا، لقد أمضيت ساعة بأكملها حتى افرغت الماء منها الثلاثاء الماضي. ولقد أنهيت الغسيل على يدي.»

وضع السلة على الارض وهو يقول: «تعلمين أن لديك من يتطوع دائماً لمساعدتك.»

«هل حقاً تعتقد أنك تستطيع اصلاحها؟»

لقد انتقلت من الشك إلى الثقة به. وهذا ما يعجبه. وضع فرانك يديه على الآلة وكأنه يدرسها للحظة.

رفعت حاجبيها وقالت: «تريد أن تضع يديك عليها لتشفى؟»

ضحك متجاهلاً سخريتها: «أعتقد أنها بحاجة لوقت أكثر من ذلك.»

رفع الغطاء فوجد أنها لا زالت رطبة: «هل فقدت شيئاً من الغسيل فيها؟»

«ماذا؟»

أعاد الغطاء إلى مكانه: «عندما طويت الغسيل، هل فقدت شيئاً منه؟»

هزت رأسها، ثم قالت: «أنا لا أرتب الغسيل، انجيلينا تفعل، ولم تقل لي شيئاً.»

هز رأسه، مفكراً بغرابة الامر: «يحتاج الأمر للمحاولة.»

قلب الغسالة وأخذ ينظر إلى أماكن البراغي: «لديك مفك للبراغي.»

«بالطبع لدي، فنحن لسنا عديمو المسؤولية هنا، تعلم ذلك.»

أجاب ببساطة: «لم أقل هذا أبداً، أين المفك؟»

احمرت خجلاً، فها هو يساعدها وهي تشعر بالتوتر وكل ذلك بسببه. كان هناك صندوقاً للآلات على رف في الكاراج، فتحته ورأت فيه الكثير من المعدات التي لا تعرف لما تستعمل، لقد كانت هذه لطوني فهذا ما يحب العمل به، لذلك ابقتها كلها.

عادت ممسكة باثنين من المفكات وانحنت لتراقب ما يفعل.

«ماذا ستفعل بها؟»

كان قد أزال كل البراغي ووضع كل برغي في مكان محدد: «انظري إليها أكثر من مرة عندها يسهل تصليحها.»

شعرت بالذنب، لم يكن ليفعل ذلك لو لم تقل له انها غلطته لأنها نسيت أن ترسل وراء عامل التصليحات.

نهضت دونا وقالت: «لا تتعب نفسك، فانا أستطيع الذهاب بسرعة إلى أقرب مركز للغسيل.»

تابع عمله وقال: «دعيني أرضي طموحي على الاقل.»

تنهدت وصمتت. فإذا استطاع تصليحها، فإنه سيوفر لها الوقت والمال. وإن لم يفعل، فإنها ستضطر لتسرع أكثر من الآن، لكنها دعته يكمل.

سألت بشك: «هل تستطيع اعادة كل شيء إلى مكانه ثانية؟»

نظر إليها قائلاً: «وأنا مغمض العينين، لكن من الافضل أن ابقيهما مفتوحتين. فانا أحب أن أرى ماذا تفعل يداي.»

«أراهن انك تفعل.»

قال: «آه، لقد علمت ما بها.» رفع بيده قطعة من القماش كانت تسد صمام المياه.

بعد قليل أعاد فرانك الغطاء إلى مكانه وثبته بالبراغي: «أعتقد من الأفضل أن نجربها.»

ابتسمت وقالت: «أستطيع أن أبدأ الغسيل فيها.»

«ليس هذا ما أفكر به.»

«أعلم بما تفكر وهذا أمر لن يحدث أبداً.»

نهض ومسح يده بعد أن وضع المفكات على الغسالة: «لقد تعلمت أن لا أقول «أبداً» أبداً. فمنذ أسابيع قليلة لو أن أحد أخبرني أنني سأصلح غسالة في سيتل لامرأة جميلة تخطف انفاسي عندما أراها، لكنت قلت له أبداً، وانظري؟ لقد فعلت ذلك بالتحديد.»

نظرت إلى الغسالة بشك: «لم نعلم بعد إذا أصبحت تعمل.»

استند إلى الغسالة وعينيه تواجهان عينيها: «هيا دونا، تقدمي، ماذا ستخسرين؟»

«لن أخسر أكثر من الغسيل.»

«ربما ليس حتى ذلك.» وضع فرانك المسحوق في الغسالة وبدأ يملأ الغسالة بالثياب الوسخة.

عندما أراد أن يدير الكهرباء عليها، وضعت يدها على يده: «توقف أنت لم تفصل الغسيل عن بعضه.»

«أنا دائماً أضع كل الغسيل معاً، ويبدو أن ثيابي لا تتأثر بذلك.»

«لا شك انك محظوظ، لأنك لا تريد أن تمزج ثيابك كلها.»

«أجد المزج أمر ممتع للغاية.» أمسك بها وشدها إليه. لم تقاوم وهذا ما أسعده.

قالت بنعومة: «أنت تقوم بذلك ثانية.»

«ماذا؟ ما الذي أقوم به ثانية؟»

قاومت دونا لتبقي عينيها مفتوحتين: «تشتت لي أفكاري.»

همس قائلاً: «لست بحاجة لها.»

وضع يده على شعرها، سعيداً بحبها، كان دائماً يعتقد أن الحب عندما يأتي، يأتي فجأة. لكنه لم يتوقع أن يكون سريعاً كالبرق. فتح الباب بين البيت والكاراج بسرعة وسمعا صوتاً يقول: «لا تنسي يا أمي أنني بحاجة إلى قميصي الزرقاء للجمعية غداً...»

ووقف تايلور مندهشاً. قناع من الدهشة غلف وجهه ثم الغضب ونظر متهماً نحو فرانك ودونا. وبعد لحظة تراجع وأسرع بالهرب.

صرخت دونا: «تايلور!» تباً، ما الذي فعلته؟ لم توضح أو تهيء ولديها على فكرة أنها قد تتعرف على رجل غير

والدهما. كيف يمكنها ذلك؟ حتى انها لم تهيء نفسها لذلك: «تايلور، أنت لن...»

ركضت دونا وراء ولدها بخوف. لكن فرانك أوقفها.

«لا، دعيني أكلمه.»

نظرت إليه، غاضبة منه، وغاضبة أكثر من نفسها: «إنه بسببك غضب وهرب الآن.»

لن يجيبها الآن على هذا الادعاء: «إذن أنا من يجب أن يذهب ويتكلم معه.»

تركها واقفة هناك، يائسة ومحبطة. وتشعر بالضياع. كادت أن تصرخ من شدة الغضب.

كانت الغسالة تعمل من وراءها دون انقطاع.

• • •

وجد فرانك تايلور بغرفته. وما أن دخل حتى رمى تايلور الغيتار بالخزانة. اقترب فرانك من الصبي بينما رمى نفسه على سرير ستيفن: «هل تخليت عن فكرة العزف.»

«ارحل من هنا.»

جلس فرانك على جانب السرير. وضع يده على كتف الولد. ابعد تايلور يده وأبقى وجهه مندساً في السرير.

قال فرانك: «لن أفعل ذلك، يا تايلور. لماذا لا تخبرني لما تبعد الغيتار؟ لقد أصبحت تجيد العزف الآن.»

رفع تايلور رأسه لكنه تكلم مواجهاً الحائط: «لقد كانت فكرة سخيفة منذ البداية.»

«ان تطور نفسك؟ لا أعتقد ذلك. أعتقد أنه أمر جيد، وأسلوب مهم لتبرهن لهؤلاء الصبية أنك مهم مثلهم.» توقف قليلاً ثم تابع: «وربما في بعض الحالات، أفضل.»

جلس تايلور واستدار لينظر إلى فرانك. رفع ذقنه بنفس الطريقة التي تفعلها دونا عندما تشعر برغبة في التحدي: «وما الذي يهمك؟ فأنت لست والدي.»

«لا، أنا لست والدك، لكنني أستطيع الاهتمام ولو لم أكن والدك.»

وضع يده ثانية على كتف الصبي. لكن هذه المرة لم يدفعه تايلور بعيداً: «انني أهتم بك فعلاً، يا تايلور.» قال ذلك بهدوء، ظاهراً أهمية كل كلمة: «اهتم كثيراً، بك وبشقيقك، وبعمتك ليزا.»

رفع تايلور رأسه، مراقباً تعابير وجه فرانك، وقال بتحد: «وبوالدتي؟»

هز فرانك رأسه وابتسم: «آه، أجل، إنني أهتم فعلاً بوالدتك.» إنه لأمر جيد أن يقول ذلك بصوت عال. أمر جيد ومروع بذات الوقت: «هل يجعل الاعتراف بالأمر أكثر سهولة عليك؟»

هز تايلور كتفيه، غير قادر على فهم شعوره: «نوعاً ما.»

اقترب فرانك أكثر من الصبي: «سأخبرك سراً، إنه نوعاً ما يسهل الامر علي أيضاً.»

نظر تايلور إليه متعجباً: «لماذا؟»

«لأنني لم أشعر هكذا من قبل لأي كان. لكن يجب أن لا يؤثر عليك ذلك. فالذي يحدث بيني وبين والدتك لا يؤثر اطلاقاً عما تشعر به نحوك ونحو شقيقك. أو كيف كانت تشعر نحو والدك.» رأى بوضوح الصراع الداخلي في عيني الولد. وضع ذراعه حول تايلور وشده إليه أكثر: «دعيني أوضح لك الأمر. أي نوع من المثلجات تفضله، يا تايلور.»

«إنه أمر سهل، مثلجات على شوكولا.»

«اختيار عظيم، والآن لنقل انهم فجأة توقفوا عن صنع مثلجات على شوكولا. هل هذا يعني أنك لن تتذوق المثلجات بعد ذلك؟»

ضحك تايلور من هذا الاقتراح السخيف: «لا، بالطبع لا.» توقف ونظر إلى فرانك، مفكراً بما قاله: «هل أنت الاختيار الثاني للمثلجات؟»

«هذا ما أتمناه.»

تنهد تايلور، ثم هز رأسه كعادته دوماً: «أعتقد انني أتفهم ذلك.»

«هذا كل ما أتمناه.» نهض فرانك من مكانه فتح الخزانة، فوقع الغيتار على الارض بجانب قدمه. التقطه وأعاده إلى تايلور: «عليك أن تتابع التدريب على الغيتار.»

أخذ تايلور الغيتار منه ووضعه في حضنه: «حسناً، هل ستسمح لي؟»

استند فرانك إلى المكتب الصغير: «بالتأكيد.»

بدأ تايلور العزف. كانت أصابعه تلعب بمهارة والموسيقى تصدح حلوة صافية.

• • •

استندت دونا إلى الحائط خارج غرفة تايلور ومسحت دموعها. غير مصدقة أنها تجلس بعيدة وتسمح لفرانك أن يساهم في حل مشكلة مع أحد أفراد عائلتها، لذا اسرعت إلى غرفة تايلور. ووصلت في الوقت المناسب لتسمع الحوار الذي دار بين ولدها وفرانك.

فكرت دونا، إنه يربح رضى الجميع ويستميلهم إليه. تساءلت انه قد ربحها أيضاً، على الاقل الجزء العقلاني والمنطقي فيها. عاطفياً، ما زالت تبتعد عنه. وستبقى هكذا. فهذا الأمر يتعلق بحياتها.

لن تعود أبداً إلى ما كانت عليه قبل وفاة طوني. لقد أحبت طوني بكل قلبها ولقد تركها محطمة. محطمة القلب والحياة وهي تحاول المستحيل لتجمعها ثانية.

كذلك الشعور بالذنب.

كان هناك شعور مروع بالذنب منذ لحظة وفاته. ذنب يبقيها سجينة مخاوفها، ذنب يرافقها ليل نهار. لقد أنهى طوني حياته، لقد قال لها في ورقة تركها، إنه فعل ذلك لأنه لا يستطيع مواجهتها.

وهذا يعني أنه مات بسببها.

لقد قتل نفسه بسببها. وهذا ما يجعلها مُدينة له رافضة أية حياة عاطفية أخرى. فهي ليست حرة بأن تحب ثانية، حتى ولو أرادت ذلك. مسحت دونا دموعها وهي تبتعد. لديها أعمال تقوم بها الآن، ولديها رحلة عليها أن تحضر نفسها لها. فليس هناك وقت للعودة إلى الماضي. أو التفكير بمستقبل لن يُسمح له أن يصبح واقعاً.

الفصل التاسع

غابت لمدة ثلاثة أيام. وخلال تلك الفترة شعرت دونا وكأن روحها غائبة عنها في مكان ما، متعبة، لا تجد مستقراً لها، فهي دائماً تفكر بفرانك، لم يمض اكثر من اسبوعين على تعارفهما. وهو أمر غريب ان تشعر بكل هذا الشوق إليه.

لكنها مع ذلك فعلت.

لا يهم كم حاولت، ان تتهرب، ان تبتعد عما تخافه، بالكاد اسبوعين، فهي لم تملك الوقت الكافي لتعرفه، لكنه الوقت الكافي لتشعر بأهمية وجوده.

حاولت ان تهدأ من عاطفتها وهي تقود سيارتها نحو البيت من المطار. ففي كل الاحتمالات، لن يكون فرانك في بيتها عندما تصل، وهي لا تجد سبباً لتقتنع انها تريد رؤيته هناك.

قالت لنفسها، كل ما تشعر به لا قيمة له. فلا بد ان فرانك قد رحل الآن هذا ما حاولت اقناع نفسها به وهي تتابع سيرها، كما انها لا تهتم لرحيله أيضاً.

كادت ان تنجح بذلك في الوقت الذي اوقفت فيه السيارة. حركت كتفيها براحة، اظهرت على وجهها ابتسامة كبيرة وهي تفتح باب بيتها. كانت القاعة خالية: «هاي، اين الجميع؟ لقد عدت!»

وفي خلال لحظة، كانت تحيط بها أربعة اذرع لولديها وتضمانها من الجانبين.

قالت وهي تضحك: «أمر جميل ان يفتقدك الآخرون.» ثم نظرت إلى وجه كل واحد منهما.

شعرت فجأة ان هناك شيء ما، شعور غريب ان ستيفن يشدها اليه اكثر من العادة وان هناك حذر في عيني تايلور. حذر لا تدري كيف تصفه. لكنها متأكدة من ان شيئاً غير عادي قد حصل.

ربما هي تبالغ في تفكيرها، سألتهما: «ماذا هناك، يا شباب؟»

احست بوجوده قبل ان تنظر اليه. كان فرانك يقف هناك، عند باب غرفة الجلوس، تاركاً لها حرية اللقاء بولديها.

شعرت ان قلبها يخفق بسرعة بين ضلوعها، وكأنها عصفور اطلق للفور من قفصه. انه لم يغادر بعد. حاولت ان تسيطر على الاحساس بالفرح الذي غمرها. وبإرادة من فولاذ امسكت نفسها كي لا تركض نحوه.

وضعت يدها على كتف تايلور، مستندة إلى شيء ثابت، شيء يعطيها قدرة للحياة: «لقد اعتقدت انك غادرت سيتل.»

عقد حاجبيه وهو ينظر اليها.

بحث في عينيها، ليعلم الحقيقة. هل هي حقاً تريده ان يرحل؟ عندما غادرت لم يكن وداعهما عادياً، فلقد بقي بينهما شيئاً معلقاً، ولقد اعتقد ان لا احداً منهما يريد ان يفترق هكذا. بالنسبة له فهو متأكد انه لا يريد ذلك. فانه يشعر انه في وسط حيرة، حيرة عاطفية. فما زال يشعر انه بحاجة ليتلمس طريقة. محاولاً ان يجد تفسيراً للعاطفة الجديدة التي يعيشها وللاحساس الجديد الذي يريده في حياته.

اقترب منها. وقف الولدان بينهما: «لا تخافي، لقد

حصلت ظروف قاهرة منعتني من الرحيل.» والآن ماذا يعني ذلك؟ نقلت نظرها بين وجه فرانك ووجه ولديها.

قال ستيفن متطوعاً: «انه يعيش هنا، الآن.»

ادركت دونا انها تفتح فمها بذهول، غير مصدقة: «ماذا؟»

«اجل» كان الأمر عادياً لستيفن، على الأقل وهو سعيد جداً لذلك التدبير وتابع: «انه ينام في غرفة عمتي ليزا.»

اقتربت نحو الاريكة وهي تترنح، وببطء جلست عليها. هذا كثير. ضاقت عيناها وبدأ رأسها يضج غير مصدق. ليزا وفرانك؟ ليزا؟ فكرة إيجاد فرانك لإمرأة أخرى جعلها تشعر وكأنها طعنت بشيء حاد في معدتها.

لا في قلبها.

لا يمكن ان تصاب بالاثنين معاً، لكن مع ليزا؟

رفعت عينيها إلى فرانك. كان صوتها مليئاً بالمرارة: «تتحرك بسرعة، أليس كذلك؟»

لقد تفوه ستيفن بالكلمات قبل ان يتسنى لفرانك الفرصة ليخبر دونا بالأخبار. من الواضح ان الأمور لا تسير على وتيرة واحدة بوجود الاطفال، لذا قال لها: «ليس الأمر كما تظنين.»

نهض ثانية، اية حمقاء يعتقدها؟ لقد غادرت لمدة ثلاثة ايام. وانت انتقلت للعيش مع ليزا. وبوجود الاطفال أيضاً هنا. كيف يمكنه ذلك؟ كيف يمكنه ذلك؟ كيف يمكنه القيام بذلك مع وجود ولديها؟ كيف يمكن ليزا ان تفعل ذلك: «بما يفترض بي ان افكر؟»

تساءل، هل تشعر بالغيرة؟ فالغضب الذي يسيطر عليها ويصبغ خديها ببقع حمراء ليس بالاهتمام بكرامة ليزا. ومع

ذلك لم يهتم بصراخها عليه، وفي الواقع لقد اسعده السبب وراء ذلك الغضب المدمر.

كان صوته هادئاً مما اثار جنونها اكثر عندما اجاب: «يفترض بك ان تفكري انني كنت اعتني بولديك.»

«ماذا؟» لم تفهم شيئاً من كل هذا، نظرت حولها وسألت: «اين هي ليزا؟» من المحتمل انها مختبئة، تشعر بالخجل من مواجهتها، لكنها لا تستطيع ان تضع اللوم على ليزا، بل على فرانك. كل ذلك بسببه. كل شيء يجري هنا بسببه، لو لم يحضر فجأة، بكل وسامته، بكل لياقته، لما حدث اي شيء من هذا. لما امضت ثلاثة ايام حزينة في سان دياغو، ترهق نفسها بالبحث عن جواب لحيرتها والعودة إلى هنا مرتبكة الذهن وفاقدة اية حماس للعمل.

اخبرها تايلور: «عمتي ليزا في المستشفى.»

همست: «ماذا؟» ظهر الرعب جلياً على وجهها. اذن هذا ما احست به عندما دخلت إلى البيت، لقد علمت ان هناك شيئاً ما يثير مخاوفها، نظرت إلى فرانك: «ماذا فعلت بها؟»

ابتسم ولكن لم تصل ابتسامته إلى عينيه: «شكراً على كل هذه الثقة.» قال ذلك ببساطة لكنها احست دونا بنبرة الألم في صوته.

وضعت يدها على رأسها، متمنية لو انها ابتلعت كلامها، لقد اخطأت في تفكيرها. فكل ما حولها يربكها.

«لم اقصد ما قلته. لماذا ليزا في المستشفى ولما انت هنا؟»

رفعت يدها ما ان هم ستيفن بالكلام، قالت متوسلة: «ببطء، ومن البداية.»

بدأ فرانك: «لقد اتيت البارحة مساء لمساعدة تايلور على دروس الغيتار...» حقيقة انه مازال يعلم تايلور وهي بعيدة، اذهلتها. فهل هو محب للغير حقيقة؟ فهي لا تدري نوع هذا الرجل.

قاطعه تايلور بسرعة: «ولقد اصبحت ماهراً، يا أمي.» كان وجهه يطفح بالثقة: «استطيع ان اعزف الاغنية الآن فوراً. كما ان فرانك علمني اغنيتين أيضاً، هل تريدين السماع؟» كان قد قطع نصف الطريق ليصل إلى الغيتار.

اوقفته دونا: «فيما بعد وقريباً، اعدك. أولاً اريد ان اعرف ما الذي حدث لعمتك ليزا.» استدارت نحو فرانك وقالت: «هيا تابع.»

«لاحظت انها بدت شاحبة على العشاء وانها لم تأكل جيداً، فلقد فقدت شهيتها للطعام في المدة الأخيرة.»

فكرت، كم اصبح منغمساً بحياتهم، فهو يعرف كل شيء عنهم، حتى طريقة اكلهم.

«سألتها ان كان هناك ما يزعجها، فقالت انها تشعر بألم في خاصرتها اليمنى. حاولت ان تضحك، لكنني كنت أرى كم كانت تتألم، وما كدت ألمسها حتى صرخت من شدة الألم.»

قالت دونا أول فكرة خطرت على بالها: «التهاب في الزائدة الدودية؟»

«ومن الدرجة الأولى، اعلمتها ان ليس هناك من مجال للانتظار، جمعت الولدين واخذناها إلى غرفة الطوارىء.»

لاحظت كيف فرح ولديها عندما ذكر اسمهما، انه بارع في ذلك، يعرف كيف يربح ثقة وحب الجميع.

تابع: «لقد وصلنا في الوقت المناسب، فلقد انفجرت الزائدة في غرفة العمليات.»

غطت دونا فمها بيدها، محاولة ان تخفف من ضغط اعصابها، وتنفست بعمق: «لقد تحدثت معها البارحة صباحاً، وقالت ان كل شيء على مايرام.»

هز كتفيه بسرعة: «انت تعرفين ليزا. فهي لا تحب ان تشكو.»

حدقت دونا بفرانك. كان يتكلم وكأنه يعرف ليزا منذ سنوات وليس من اسبوعين فقط. هل يستطيع الانسان ان يندمج في جو جديد بهذه السرعة؟ هل تستطيع هي ان تندمج مع رجل بهذه السرعة؟ مع طوني، كانت علاقتهما تسير ببطء، وكأنها قطعة نسيج نسجت بكل صبر ودقة. فلقد كبرا معاً واغرما ببعضهما مع الوقت. لم يحصل لهما شيئاً من هذا.

الذي حدث بينها وبين فرانك حصل بسرعة البرق. هل سيذوب هذا الاحساس بهذه السرعة؟

ماذا تفعل الآن، تحلل احساسها بينما شقيقة زوجها في المستشفى مريضة وكادت ان تموت.

شعرت دونا ان رأسها يكاد ينفجر.

كان فرانك يقول: «مازالت انجيلينا غائبة. ولن تعود قبل عدة أيام. ولم يكن هناك من سيبقى مع الأولاد حتى عودتك.» لم يكن الموضوع بحاجة إلى تفسير، لكنه اكمل: «لذلك امضيت الليلة في غرفة ليزا.» ولأن ستيفن كان سعيداً بوجوده، كانت ضحكته تملأ وجهه، فلم يستطع فرانك الا مداعبة شعره. نظر إلى دونا من فوق رأس الصبي وتابع: «هذه هي كل القصة، كل شيء على مايرام.»

شعرت بالخجل مما قالته، خاصة انه تصرف بشكل رائع بالنسبة لكل الأمور.

قالت وقد احمرت خجلاً: «لقد كان يوم قاسياً، فرانك اني آسفة، لم اقصد ان اهاجمك، لقد اعتقدت انك...» خانها صوتها.

«اعلم بما فكرت.»

لاحظت انه بدا مسروراً بذلك، لقد انزلقت في تصرفاتها تماماً هذه المرة. قال ستيفن: «لقد احضر لنا الفطور وارسلنا إلى المدرسة في الوقت المحدد وكل شيء.» كانت نظراته تقول انه كان سعيداً، لكنه تابع عن فرانك لأنه ارسله إلى المدرسة: «لقد اعتقدت اننا نستطيع البقاء في المنزل بسبب مرض عمتي ليزا، لكن فرانك اصر انه ليس علينا ان نخسر اي درس.»

مدت دونا ذراعيها وضمت ولدها إلى صدرها: «فرانك على حق.»

نظر فرانك اليها وقال: «شأن أمور كثيرة.»

رفعت دونا ذقنها، مصممة على الحفاظ على كبريائها: «بشأن معظم الاشياء.»

تنهدت بعمق، يا لها من عودة إلى البيت. «ما اسم المستشفى التي دخلتها؟»

«سانت سيلينا.» تقدم خطوة منها فابتعد ستيفن: «سأقلك بنفسي، لقد اصبحت اجيد القيادة في هذه المنطقة، مع العلم انني اعترف بانني احب شوارع ويلمنغتون فولز اكثر. ازدحام السير هناك يعني عندما تلتقي سيارتان في وقت متزامن على اشارة ضوئية.»

سأل ستيفن: «ماذا يعني كلمة متزامن؟»

ضحك فرانك. فالاطفال لهم ذاكرة كالاسفنج، تبحث دائماً عن الجديد لتمتصه: «انها تعني في ذات الوقت.»

«كوجودك انت ووالدتي هنا الآن؟»

هز فرانك رأسه، راغباً في الموافقة: «شيء من هذا القبيل.»

شعرت انها مرهقة، فقد جلست لساعات طويلة في عملها عند الصباح ثم امضت اربع ساعات في قيادة طائرة صغيرة. كما بقيت في مكتبها لفترة لتتأكد من سير الأمور قبل ان تنطلق عائدة إلى البيت. واستغرق وصولها إلى المنزل اكثر من ساعة لطريق لا تحتاج لأكثر من عشرين دقيقة بسبب ازدحام سير مخيف. «فكرة العيش في مكان يبعد عن ازدحام السير، الآن تبدو مناسبة.»

سألها فرانك بحماس: «وماذا لو بعد فترة؟»

«ماذا؟»

«ماذا عن العيش في مكان كهذا بعد فترة اسبوع من الآن؟ أو شهر؟»

نظرت دونا اليه بقلق، مدركة انها اخطأت: «ما الذي تقوله؟» وضع اصبعه على عقدة حاجبيها: «ماذا تعتقدين انني اقول؟» لم ترد بحث الموضوع الآن، ليس امام تايلور وستيفن، فهي لا تدرك كيف تشعر ولا كيف تفكر: «لنذهب لرؤية ليزا الآن.»

انحنى فرانك وقال: «رغباتك هي أوامر لي.»

قالت وهي تضحك: «لو ان ذلك صحيحاً...»

«ماذا؟» قال وعينيه الخضراوين تحدقان بها: «لو ان ذلك صحيحاً، ماذا؟»

هزت رأسها كانت تريد القول: «عندها ستتركني وترحل.» لكن بدا لها جوابها غير عادل. وليس هذا ما تعنيه، ليس بالحقيقة. آه، كل الذي تريده ان لا تشعر انها ممزقة بعد الآن.

«ليس الأمر بذات اهمية.»

استدار فرانك نحو الولدين، نظر اليه تايلور نظرة معبرة، كان الولد يبدو اكبر من سنه، قال فرانك: «إلى السيارة يا شباب سنلحق بكما حالاً.»

مازالت دونا تشعر بالدهشة من اطاعة ولديها لأوامر فرانك بفرح وبسرعة. فالاحساس بالفرح بوجود شخص جديد في العائلة لم يذب. بل على العكس، ردة فعلهم معه اصبحت اكثر مرونة.

لكنه سيرحل، ذكرت نفسها بذلك، انها مسألة وقت فقط قبل ان يرحل نهائياً. ليس هناك من منطق لتتعلق به.

الارتباط العاطفي ليس بحاجة إلى المنطق، هذا ما فكرت به وهي ترى ولديها يسرعان إلى السيارة.

حبست انفاسها عندما شدها فرانك اليه: «لم اقل اهلاً بعودتك بعد.» كانت تريد معارضته، لكن الكلمات ماتت بسرعة. فلقد اشتاقت اليه. اشتاقت اليه رغم ارادتها، ان تفتقده شعور سيء لها، وكأنها تسير على طريق لا رغبة لها بذلك.

تمتم فرانك: «اهلاً.»

تنهدت: «اهلاً.»

وضع اصبعه على فمها: «دعينا نذهب، الأولاد بانتظارنا.»

شعرت دونا بغصة من الألم وهي تفتح ببطء باب غرفة ليزا في المستشفى، كانت ليزا شاحبة جداً وشعرها منسدلاً على الوسادة كشذرات من الذهب.

رأت كيسين من المصل في يدها. ارادت دونا مغادرة الغرفة لكي تتابع ليزا نومها.

قال ستيفن بصوت عالٍ: «عمتي ليزا، نحن هنا.» واسرع نحوها قبل تايلور. وضعت دونا اصبعها على شفتيها لكي تمنع ابنها من الكلام وقالت بصوت منخفض: «إنها نائمة.»

قالت ليزا وهي تفتح عينيها ببطء: «لا، لست نائمة، لقد كنت احلم بكم جميعاً.» ابتسمت بضعف، ومدت يديها نحو ولدي شقيقها. «اذن، كيف يتصرف اولادي بغيابي؟»

قال ستيفن: «بغاية الروعة.» كان يود الجلوس بجانبها على السرير لو لم يمسك فرانك بكتفه، ليبقيه في مكانه.

قال تايلور مصححاً له: «ما يقصده ستيفن... اننا نفتقدك كثيراً.»

قال ستيفن بسرعة: «اجل، بالطبع نفتقدك، لقد قدم لنا فرانك جبنة وزبدة ساخنة على الفطور اليوم.»

قال فرانك مفسراً لدونا: «لم يكن هناك اية انواع من الحبوب.» رأى انه من الافضل ان يعيد انتباهه لليزا. لمس برؤوس اصابعه يدها: «كيف تشعرين الآن؟»

حاولت ان تبتسم: «لقد كنت افضل، فالممرضات يزدن من الآمك هنا.»

اندهشت دونا من تذمر ليزا، فللمستشفى شهرة كبيرة: «الا يعاملونك بطريقة جيدة؟» قررت دونا ان تتكلم مع رئيس الممرضين في المستشفى.

«آه، انهم جميعاً في غاية اللطف. لكنني مازلت انتظر عناية اكثر.»

نظرت إلى دونا، فوجدت ملامح القلق والاهتمام على وجهها. وكأن ليس هناك ما يكفيها لتقلق بشأنه: «آسفة دونا.»

شدت دونا على يدها: «لم تخترعي ذلك الألم، ليزا. هل أنت بخير الآن؟»

«بالطبع.» نظرت نحو فرانك: «صديقك هذا اتى بي إلى المستشفى في الوقت المناسب.»

ارادت دونا ان تنكر انه صديقها، فهو لا يعني لها شيئاً، لكنها صمتت، لأنه سيبدو واضحاً انها تكذب.

قالت موافقة: «ان له يد مساعدة في كل مكان.» شعرت بيده على كتفها.

ضحك فرانك: «هذا الكلام منك، يعتبر مديح مغالى فيه.»

اتسعت عينا ليزا عندما تذكرت فجأة: «هل قمت...؟»

قال بسرعة: «لقد اتصلت بمكتبك عند الصباح، اهتم السيد رايس كثيراً بالأمر وقال انه سيرسل لك اوراق التأمين. ولقد طلب مني ان اخبرك ان سيمون وولكر سيهتمون باعمال المكتب حتى عودتك.»

تنهدت ليزا، براحة وهي تقول: «انك أفضل إنسان يا فرانك.»

هز رأسه: «لا، لست سوى انساناً عادياً.» بعدها، ولأنه عاش فترة طويلة برفقة والدته وشقيقته، شعر ان دونا وليزا ترغبان بالقضاء فترة من الوقت بمفردهما.

«حسناً، ساتركما لتتكلما قليلاً، هيا يا شباب.» وضع يده

على كتف كل منهما وقال: «دعونا نذهب إلى مكان نشتري منه بعض الحلوى.»

قالت دونا: «لا اريد ان تأكلا الكثير من الحلوى.» علمت ان كلماتها لن تلقى اذاناً صاغية، استدارت بعد ان سمعت اغلاق الباب. «كيف تشعرين حقاً؟»

«ألم كبير لا يطاق، لكن لا شك ان الأمر كان أسوأ من ذلك.» شعرت برجفة عندما فكرت بالأمر الذي أحست به: «أنت تعلمين كم اكره زيارة الطبيب.»

غطت دونا يد ليزا وشدت عليها: «اجل اعرف.»

«دونا لست ادري ماذا كنت فعلت لولا وجود فرانك، فعندما وصلت إلى المستشفى كنت مريضة جداً ولا استطيع ان اتحرك. لقد اهتم بكل شيء، بي وبالولدين. انه مميز حقاً يا دونا، هل تعلمين انه حملني من السيارة إلى غرفة الطوارىء؟ لا اتذكر سوى الألم والخوف الواضح على الصبين، لقد ساعدهما بدون ان اطلب منه ذلك، ان ذلك جزء من شخصيته.»

تذكرت دونا كيف تعامل فرانك مع روز ماري، كيف تصرف بلطف مع المرأة الحامل، مخففاً من مخاوفها وآلامها. وكيف اتصل بزوجها ليعلمه بما حدث. مع انه لم يكن عليه القيام بذلك. فكرت أيضاً كيف يتعامل مع عائلتها، وهي تنظر إلى ليزا. ليس هناك من حاجة للإنكار، ان هذا الرجل رائع بالفعل. اذن، ما الذي يمنعها من الانضمام اليه والبقاء معه حتى آخر العمر؟ لا شيء غير خوف دائم لا ينتهي.

قالت ليزا: «لقد رأيت الطبيب اليوم، وقال انه بامكاني

العودة إلى البيت بعد مرور ثلاثة ايام، ولقد وعدني فرانك انه سيساعدني بذلك أيضاً.»

هذا يعني انه سيبقى لفترة اطول بعد. اومأت دونا برأسها: «لا استطيع ان افهم، عندما قابلته للمرة الأولى، قال انه سيمكث هنا لمدة اسبوع، ولقد مضى اكثر من اسبوعين حتى الآن.»

ابتسمت ليزا، لماذا دونا تحارب وجوده هكذا؟ لذا قالت لها: «ربما وجد ما جعله يقرر البقاء لمدة اكثر.»

قالت دونا: «انه أمر مؤقت، فقط أمر مؤقت.»

«اذن؟ ابحثي عن وسيلة ليصبح أمراً دائماً.» امتقع لون دونا وحاولت ان تبتعد. امسكت ليزا بيدها: «أرى بوضوع كيف ينظر اليك، وكيف تنظرين اليه.»

«انه الاعجاب، يا ليزا، لقد قلت لك ذلك.»

مريضة أم لا، لن تضعف ليزا الآن، فهي تملك عيوناً صافية: «الاعجاب يحدث في اللقاء الأول، لكن هذا الشاب من الذهب الصافي يا دونا.»

لم تستطع ان تنفي ذلك، فلديهما الآن أكثر من دليل على صدق كلامها.

«أنا...» ارادت دونا ان تعترض، لكن ماذا هناك لتعترض عليه؟ فهي توافق ليزا على كلامها. فالرجل رائع حقاً. «نعم، اعرف ذلك.»

«إذن؟»

بدأت دونا بالسير مجدداً، وكأنها ان ابتعدت قليلاً، تستطيع ان تفهم عواطفها، أو على الأقل تصل إلى بعض المنطق الذي تبحث عنه.

«إذن العواطف القديمة لا تذهب هكذا بسرعة.»

«عواطف قديمة؟» كانت ليزا تحاول ان تفهم لماذا امرأة جميلة مثل دونا ترمي فرصة قيمة كفرانك: «لطوني؟»

اسندت دونا يديها إلى النافذة الواسعة ونظرت إلى الخارج. كان هناك الكثير من المباني وازدحام سير في كل الاتجاهات، كانت الحياة تضج في الخارج، بينما هي هنا فوق، تنظر إلى الناس وهي تشعر بالامان. هي تريد ان تبقى كذلك.

استدارت لتنظر إلى ليزا: «بسبب طوني.»

«لا استطيع ان افهمك.»

كيف يمكنها ان تخبر ليزا كيف جرت الأمور؟ كيف شعرت عندما وجدت جثة طوني ذلك الصباح؟ كيف تشعر وهي تعلم انها المسؤولة عما حدث لها؟

هذه هي الحقيقة. انها لا تستطيع.

هزت كتفيها يائسة: «لا استطيع التفكير في انني سأترك وحيدة ثانية.»

حاولت ليزا ان تغير كلامها: «اعتقد ان عليك ان تطلبي منه ألا يموت بسرعة لأجلك. لكن لا اعتقد ان هناك من ينجح بذلك.» ضغطت بيدها على الفراش. «عزيزتي كل انسان يموت، وكل الذي نتمناه هو ان نتمتع بالحياة ونحن على على قيد الحياة.»

لن يصل هذا الحديث إلى اية نتيجة ورأت دونا ان ليزا متعبة، فقالت لها: «توقفي عن فلسفة الأمور وانتبهي لصحتك.» انحنت لتقبل خدها.

«سأراك غداً.»

قالت ليزا بنعومة: جبانة.»

قالت دونا بصدق: «نعم، انني كذلك.»

تنهدت ليزا، متخلية عن الموضوع الآن. «احضري لي بعض الشوكولا عندما تأتين غداً. فكل ما يسمح لي بتناوله الحساء فقط.»

نظرت دونا إلى اكياس المصل: «عندما تصبحين قادرة على تناولها.»

قالت ليزا بأسى: «انني قادرة على ذلك.»

ضحكت دونا وهي تسير نحو الباب، تمنت ان لا يكون فرانك وولديها على مسافة بعيدة من هنا: «اراك غداً.»

توقفت عند الباب المفتوح: «انني سعيدة لأنك بخير.»

هزت ليزا رأسها: «آه، أنا أيضاً.»

www.elromancia.com

الفصل العاشر

لدهشة فرانك. عاد غريغ أخيراً. كان فرانك يتصل به كالعادة كل يوم. وعندما تلقى اجابة غير جواب الهاتف. أسرع فرانك بطلب لقاء به.

أخذ غريغ عطلة، كتعويض عن الايام التي اضطر فيها للسفر. أمضى الاثنان يومهما يستعيدان ذكريات الماضي، ومع كل ذلك، وجد فرانك نفسه مفتقداً لدونا.

ما ان أقبل المساء، حتى اكتشف فرانك أنه وغريغ قد أصبحا مختلفين جداً خلال الخمس سنوات الماضية. مع أنهما كانا صديقين. فهما الآن لا يحملان المعنى الحقيقي لكلمة الصداقة. تلك الفترة قد انتهت. وقد اعترفا معاً بذلك. وبعد قضاء سهرة ثانية معاً، اكتشفا أن كل ما بينهما الآن هو الماضي.

كان فرانك مهتماً أكثر للحاضر. وللمستقبل. المستقبل مع دونا. قال غريغ وهو يودعه: «أتمنى لك السعادة معها. فهذا أفضل بالنسبة إليك، أما أنا فلا أستطيع التوقف عن التجول.»

علم فرانك أنه ليس بحاجة إلى الانتظار. كل ما عليه هو اقناع دونا. طلب غريغ وهما يفترقان: «ابقى على اتصال.» وهذا ما فكر به فرانك. فعلى الرغم من كل شيء، ولولا رسالة غريغ، لما حدث له شيء من كل هذا.

بقيت الأمور تنزلق من بين يديها. وكأنها سلسلة مترابطة

بعضها ببعض. فكرت دونا، وكأنها حجزت داخل لعبة نينتندو فهناك دائماً جسر يجب أن يقطع أو كرة نار يجب أن تهرب منها.

وذلك كله كان شعورها نحو فرانك. فهي لم تستطع أن تضع نهاية لحالتها ولا يهمها كم حاولت جاهدة. فقد كانت تشعر بالضياع عندما تكون بقربه.

فكرت، انه بلا شك سيرحل في النهاية. إنها فقط قضية وقت، كانت تشجع نفسها أن كل ذلك سينتهي برحيله.

نظرت إليه، جالساً على الاريكة، يراقب الرسوم المتحركة مع ستيفن. كان يبدو عليه أنه يتمتع بذلك حقاً. قالت: «كم من الوقت ستمضي بعد في سيتل؟» نظر فرانك إليها حين تابعت: «أليس عليك العودة؟»

بدا لها أنه يصرف من مدخراته بدون أي انتباه، فحتى لو كان يعمل مع شقيقته. فأية بلدة هي ويلمنغتون فولز، بكل الأحوال؟

هي تريده أن يبقى هنا. كان يرى ذلك في عينيها، ولكن مع ذلك تريد أن تبعده عنها أكثر.

انتهت الرسوم المتحركة، فنهض وسار نحو مكتبها: «لم آخذ عطلة رسمية منذ سنوات. وعندما وصلت إلى سيتل، أخبرتني جانين أنها تعاقدت مع ممرضة لمدة شهر.» ابتسم وهو يتابع: «وبالنسبة لحسابتي، هذا يترك لي يوماً أو يومين للبقاء لمساعدة تايلور بدروسه.»

فكرت بيأس. وبجري إلى الجنون الكامل. لو أن شعورها السابق لم يكن بهذه القوة. لو أنها حرة لتهتم به، لتحبه. لكنها ليست كذلك.

ومع ذلك، كان مجرد النظر إليه يشعرها بالشوق ويزيد من قلقها. ابتسم وهو يرى عينيها تزهران بالمحبة: «هل تعلمين، لقد كنت أفكر أننا بحاجة إلى سهرة نمضيها معاً.» كان يفكر في مكان جميل حيث ينسى النادل أن يأتي إليهما.

«الليلة؟» شعرت وأن أنفاسها تكاد تنقطع: «هل تظهر المواهب أكثر في الليل.»

هو يعلم ذلك. فلقد امضى فترة الصباح وهو يساعد تايلور في تمرينه: «أعني أية ليلة أخرى.»

لا تريد البقاء بمفردها معه: «سنتكلم عن ذلك في حينه.»

مرر يده على خدها، وقال بنعومة: «قد يكون الوقت الآن.»

سمع صوت تايلور من غرفة الجلوس: «فرانك، اريد مساعدتك بالاغنية الأخيرة التي علمتني إياها. فانا لا أجيد عزفها.»

أشار برأسه إلى غرفة الجلوس وقال: «الاعمال تناديني.»

هزت رأسها. متمنية أن يتوقف الضجيج في أذنيها. فهي لا تزال تسمع ذلك الصوت، إنه صدى صوت نبضها. فهي أما ستصاب بانفلونزا، أو ربما شيء خطير سيصيبها.

«من الأفضل أن تلبيها.»

صرخ تايلور من غرفته: «مامي، أين الجاكيت الدنيم؟»

كانت الساعة الموجودة في غرفته تسرع على غير عادتها. كان متوتراً ولم يستطع أن يتناول عشاءه.

أسرعت دونا وهي تضع الحلق في أذنها. فتجهيز ستيفن لحفلة المواهب أخذ الكثير من وقتها. وصل فرانك

باكراً، كالعادة. تركته في غرفة الجلوس مع ليزا، آملة أن تبقيه هناك حتى تنتهي من ارتداء ملابسها هي وأولادها.

سقط الحلق الثاني منها فقالت وهي تبحث عنه: «في المكان الذي تركتها فيه.»

«أمي.» الصرخة الواضحة أعلمتها أن لا فكرة لديه أين هي. التقطت الحلق عن الأرض وأسرعت إليه: «إني قادمة.»

سارت مباشرة إلى خزانته، ابعدت ثلاثة تعليقات وأمسكت بالجاكيت المفقودة. سلمتها له فقال متمتماً: «شكراً.»

قالت من كل قلبها: «ستكون عظيماً.»

تمتم بكلمات غير مفهومة. تنهدت دونا وتركت غرفة ابنها. عندما وصلت إلى غرفة الجلوس. رأت ستيفن يتحرك وكأن شيئاً قد دخل في ثيابه. كان يحاول أن يتصرف براحة وهو يرتدي ثياباً رسمية والتي تشعره بالضيق. كانت ليزا قد عادت إلى البيت من المستشفى. جلست على الاريكة في غرفة الجلوس. بدت وكأنها ستمضي المساء تراقب التلفزيون، بينما سيذهب الجميع إلى مسرح المدرسة.

نظرت ليزا إلى دونا وهي تدخل الغرفة: «أتمنى لو أستطيع الذهاب معكم.»

لكن ذهابها كان مستحيلاً. لقد تلقت أوامر واضحة من الطبيب بأن عليها البقاء في البيت لمدة اسبوع، وهي تعلم أنها لن تجد من يسمح لها بتجاهل هذه الأوامر.

ضغطت دونا على شفتيها: «كل الذي أتمناه أن تنتهي الليلة على خير.» وضعت يدها على معدتها. معدتها التي

تؤلمها كل لحظة تفكر فيها أن ولدها الكبير سيقف بمفرده الليلة على خشبة المسرح.

سأل فرانك وهو يضحك: «أنت قلقة، يا أمي؟»

اومأت رأسها: «بل مرتعبة.» بعدها احمر وجهها خجلاً، فهي تعلم أنها تبدو غبية بالنسبة إليه: «إنه مسرح صغير ولا يتسع إلا لعدد قليل من الحاضرين.» لم تكن متأكدة من كانت تحاول أن تقنع نفسها أم فرانك.

أمسك فرانك يدها وشد عليها: «نعم، لكن ولدك هناك، سيكون رائعاً.»

حقيقة انه يفهم شعورها أثر بها كثيراً بدلاً من أن يضحك على تصرفها.

«هل حقاً تفكر هكذا؟» كانت تريد أن يكون ابنها رائعاً تلك الليلة. فذلك سيعني له الكثير كما وأنه قد تمرن كثيراً خلال الاسابيع الماضية.

قال لها: «لقد سمعته يعزف.»

قالت تذكره: «نعم، لكن كل ذلك كان من أجلك.» في تلك اللحظة، كانت صادقة، وبدون أي عوائق أو حرج بينهما: «أعتقد أنه يقوم بأي شيء لأجلك.»

هز فرانك كتفيه، لكنها كانت ترى كم كلماتها أثرت به: «لقد تمرن كفاية حتى يقوم بذلك. كما أن لديه موهبة عظيمة للموسيقى.»

كان ستيفن لا يزال يتحرك باستمرار. اقترب ليقف أمام والدته حاملاً ربطة العنق: «كيف يجب أن أضع هذه؟»

عقدت الربطة على رقبة ابنها الصغير وقالت: «لقد أصبحنا جاهزين، عزيزي.»

نظرت دونا إلى فرانك وفكرت، انها لم تره من قبل في ثياب رسمية وأن عليها أن تعترف أنه أكثر وسامة وجمالاً مما هو في الثياب العادية.

تساءلت هل هي مجنونة، كي تقاوم احساسها نحوه؟ فأي امرأة أخرى كانت تقاتل لأجل الحصول على رجل مثله في حياتها.

لكنها ليست أية امرأة أخرى، إنها نفسها، دونا ماكلوف، وهي تعلم حدودها جيداً.

وتعلم الكوابيس التي تعيشها.

قال ستيفن معترضاً: «لم يرتد تايلور ثيابه بعد.»

رفعت صوتها أكثر: «تايلور، علينا أن نسرع إذا أردنا أن نصل في الوقت المناسب.»

لم يجب أحد، وبعد مرور دقيقة. خرج تايلور، ممسكاً الغيتار بعصبية. لم يكن يرتدي الجاكيت وقميصه ما زال مفتوحاً.

صرخ ستيفن وهو يشير إلى شقيقه: «أرأيت؟ إنه لم يرتد ثيابه!»

كان وجه ستيفن شاحباً: «لست ذاهباً.»

سألته بدهشة: «ماذا؟»

حبس تايلور دموعه: «لقد كانت فكرة سخيفة منذ البداية. لست ذاهباً.» سقط الغيتار من يده الرطبة. حدق بهم. واستدار راكضاً نحو غرفته.

تبادلت ليزا ودونا النظرات. تنهدت دونا: «والآن ماذا؟»

اقترب فرانك من الغيتار ورفعه عن الأرض: «الخوف من المسرح.»

إذا كان تايلور خائفاً هكذا إذاً لينسى الجميع أمر الذهاب. فهي لا تريد أن تضع ابنها في هذا الموقف الحزين: «ربما من الافضل لنا أن لا نجبره على ذلك.» لم تدرك انها بدون وعي منها عنت فرانك بقرارها هذا.

لكنه هز رأسه ببطء، ممسكاً الأمر بيده: «هناك وقت دائم للهروب وهناك أوقات لا يستطيع المرء الهروب منها.» نظر إلى دونا بالتحديد وتابع: «إذا هرب تايلور من مواجهة ذلك الآن، لن يتمكن من التمييز بين الامور في المستقبل.»

غادر فرانك الغرفة، تاركاً اياها مبهورة الانفاس. كادت أن تقسم، في تلك اللحظة، انه كان يتكلم عنها، وليس عن تايلور.

• • •

دق فرانك بنعومة على باب غرفة تايلور، ثم دخل. كان تايلور جالساً إلى مكتبه واضعاً رأسه بين يديه. ويبدو يائساً جداً.

«هاي، تايلور.»

تمتم تايلور: «هاي.» رفع عينيه إلى وجه فرانك: «لقد خاب ظنك بي؟» كان يتوقع أن يقول له أجل.

لم يكن هناك أي تردد في صوت فرانك: «لا، فقط خاب ظني بكل ذلك العمل القاسي الذي قمت به طوال تلك الاسابيع كان ذلك مجرد وقت ضائع.» وضع الغيتار وأمسك بيده كرة صغيرة: «وربما خاب ظني قليلاً لأنه لن يسمح لأحد أن يرى كيف تعزف بمهارة.» رمى الكرة إلى الجانب الآخر من الغرفة، والتقطها.

«لست ماهراً كفاية.»

رمى الكرة في المرة الثانية إلى تايلور: «أعتقد أنك كذلك.»

غضب تايلور ورمى الكرة إلى مكانها: «أنت تجاملني.»

«لا، لا أفعل ذلك.»

ببطء، وهدوء نظر تايلور إلى فرانك، عاد الخوف يسيطر عليه: «وماذا ان اخطأت؟»

«لن تفعل.» كان صوت فرانك مليئاً بالثقة: «وإن أخطأت بنغمة، تابع. فلا أحد بين المتفرجين سيلاحظ الأمر، بكل الأحوال. كل الذي سيلاحظونه، إذا توقفت اثناء العزف أو لم تحضر من البداية.»

وضع فرانك يده على كتف تايلور ونظر إليه باهتمام: «تايلور، كل شخص يشعر بالخوف عندما يقف أمام حشد من الناس.»

لم يصدق تايلور ذلك: «ليس أنت.»

ضحك فرانك وهز رأسه، متذكراً المرة الأولى، والثانية. محاولاً أن يتفهم ماذا حدث. ما زال ينكر كم كان خائفاً: «آه، أجل، أنا بالتأكيد أنا.»

اتسعت عينا تايلور وفتح فمه بدهشة: «إنك تمزح.»

اقترب فرانك أكثر من الصبي: «تايلور، اسمعني، التوتر أمر طبيعي جداً في حياتنا، يبقيك يقظاً. أشهر المقدمين في العالم يشعرون بالخوف من المسرح. ومعظمهم يشعر بالخوف دائماً، والبعض لفترة قليلة، لكن لا أحد، لا أحد خال من هذا الشعور.»

وضع تايلور يده على معدته: «لا أحب هذا الشعور. إنه مؤلم، لما هو موجود أصلاً؟»

فكر فرانك، مستغرباً.

إنه أحد أسرار الحياة: «لأنهم يحبون أن يعبروا عن أنفسهم أكثر من أي شيء آخر. يحبون ذلك أكثر من الاحساس بالأمان.»

وضع يده بمحبة على رقبة الولد ليخلصه من مخاوفه: «إنه يجري في دمائهم. عمل عليهم القيام به.» نظر إلى الصبي ورأى شيئاً منه فيه، عندما كان صغيراً: «ليس كل شخص لديه هذه الموهبة. تايلور، معظم الناس يعيشون حياتهم بدون أي هدف. تقديم شيء هو هدف. لا تتخلى عنه لأنه صعب أو لأنك خائف. ستندم إن لم تحاول ولن تشعر بالفخر من نفسك لأنك تخليت عن ذلك.»

نظر تايلور إلى الغيتار: «أتعتقد أنه يجب علي الذهاب الليلة؟»

أراد أن يقول بحماس نعم لكن يجب أن يكون الجواب منه هو: «وأنت ماذا تعتقد؟»

رفع تايلور عينيه، بدا صغيراً جداً وغير متأكد من نفسه: «أعتقد ان علي الذهاب.»

ضحك فرانك، مرتاحاً. ساعده في ارتداء جاكتته: «هذا ينطبق علينا معاً. لنذهب ونجعل هؤلاء الصبية يموتون غيظاً.»

علم تايلور أن فرانك سيكون هناك، لكنه كان يشعر بالحاجة لسماعه يقول ذلك ثانية: «ستكون هناك؟»

«بالطبع ساكون، وسأكسر يديّ من كثرة التصفيق.»

بدا تايلور يشعر بأنه أفضل. عادت ثقته بنفسه: «حتى ولو أخطأت؟»

لم يكن هناك من حاجة للسؤال: «حتى ولو أخطأت.»

سار تايلور أمام فرانك إلى غرفة الجلوس. علمت دونا أن الأمور تسير على ما يرام، فالولد هنا وجاهز للذهاب. لم تشعر بالهدوء الا وهي تضم ابنها إلى صدرها.

للحظة ولأنه ما زال صغيراً بقي تايلور بين ذراعي والدته، ثم ابتعد عنها متذكراً أنه أصبح شاباً: «أمي، إنك تفسدين ثيابي.»

ابتسمت له بحب: «عذراً، لقد غلبتني عاطفتي.»

كان فرانك يتبعه حاملاً الغيتار بيده، سلمه اياه وقال: «هيا لنقم بعملنا على أفضل وجه.»

• • •

أنزل تايلور عند المدخل الخلفي من مسرح المدرسة، ثم اختفى بسرعة بين عدد من الطلاب والمعلمين.

جلس الثلاثة في وسط المسرح. وما أن جلسوا حتى اقتربت منهم فتاة ترتدي ثوباً زهري اللون وقدمت له ورقة زرقاء تتضمن برنامج الحفلة.

نظرت دونا إلى القائمة. فوجدت أن اسم ابنها يأتي في الدرجة الثامنة من البرنامج. عظيم، فهكذا ستبقى متوترة لفترة أطول مما اعتقدت. وبينما كان كل مشارك يغادر المسرح كانت تستطيع سماع دقات قلبها بوضوح. فإن اسم ابنها يقترب أكثر وأكثر.

وأخيراً جاء دوره.

سار تايلور نحو وسط المسرح. حيث وُضع الميكرفون ولم يكن هناك غير ستارة خضراء وراءه. شعرت بقلبها يضيق في صدرها.

انحنت نحو فرانك وقالت: «يبدو صغيراً جداً هناك.»

أسعده أنها تتقرب منه، تهمس في أذنه ما يقلقها: «إنه أمر نسبي.»

نظرت إليه عن قرب أكثر: «لأن المسرح كبير جداً؟»

ابتسم: «لا، لأنه ابنك ويلوّن حياتك.»

قالت بتوتر: «هس، سيبدأ بالعزف.»

ربت تايلور على الميكرفون فسمع صدى صوت في المسرح. شاهدته يتنفس بعمق وكأنه سيغطس في البحر.

قال تايلور إلى الجمهور: «أول ما أرغب بعزفه هي معزوفة غرين سليفز وهي هدية لوالدتي.» كان صوته رقيقاً. نظر إلى الجمهور وشاهدها هناك. اطفئت الأنوار على أقرب المتفرجين.

مسحت دونا دموعها. فهمس فرانك: «إنه لم يبدأ بعد.»

أجابت: «بلا، لقد فعل.» كان قلبها يترنح. وبدون أن تدرك مدت يدها وأمسكت بيد فرانك.

شعرت دونا أنها متوترة جداً لما يمر به تايلور في هذه اللحظات. كانت تشد على يد فرانك عندما انتهت الاغنية الأولى. بقيت ممسكة بيده طوال الفترة. ثلاث معزوفات، كل واحدة أفضل من الأخرى. لقد بدأ العزف بتردد، لكن عندما نسي نفسه في الموسيقى، أصبح عزفه أكثر ثقة ولم يكن هناك أي خطأ في الأغنية الثالثة.

كان التصفيق عندما انتهى كبيراً وأكثر مما هو مهذباً ومشجعاً، فلقد صفق الجميع له أكثر مما صفقوا لمعظم التلاميذ الذين مروا قبله.

صفقت دونا حتى شعرت بالألم في يديها، وعيناها مسمرتان على تايلور: «إنه يبدو فخوراً جداً بنفسه.»

قال وهو يسقط يديه إلى جانبه ويمد يده اليسرى: «لديه الحق في ذلك.»

نظرت دونا إلى يده، متفاجئة: «ماذا بك؟»

ضحك وهو يرى تايلور يغادر المسرح. بينما تدخل فتاتان مكانه: «ان لديك قبضة أفضل بكثير من روز ماري عندما كانت متألمة.»

استدار نحوها عندما أطفأت الأنوار: «لقد اعتقدت أنك ستكسرين يدي في بعض اللحظات.»

ابتسمت معتذرة، واقتربت برأسها حتى يسمعها: «لقد كنت قلقة عليه.»

ضحك وهو يقول: «من لم يصدق فليسألني.»

• • •

بصعوبة استطاعت الانتظار حتى نهاية البرنامج. وبعدها شق فرانك وستيفن الطريق بين عدد كبير من الاهالي. وجدوه يتكلم مع عدد من الاولاد أكبر سناً منه والذين قالت عنهم دونا انه يريد أن يتعلم العزف كي يبرهن لهم أنه أحسن منهم. كل واحد منهم كان يتقرب إليه وكأنه أفضل صديق.

رآهم تايلور فودع أصدقاءه بسرعة وأسرع بالركض حتى يصل إليهم. صرخ تايلور، متشوقاً لسماع كلمات الرضى عنه: «هل سمعت؟ هل سمعت؟»

ضمته دونا إليها، ثم بسرعة تركته خائفة من أن تكون قد أحرجته أمام أصدقائه الجدد: «بالطبع سمعنا.»

كان هناك ثقة واضحة في صوتها وهي تقول له: «لقد كنت رائعاً.»

ضحك فرانك، واضعاً يده على كتفه: «هكذا كنت.»

كان ستيفن يقفز من رجل إلى رجل، متمنياً لو أن له دور صغير في كل هذا الفرح: «هل استطيع أن أحمل الغيتار، تاي؟»

استدار تايلور نحو شقيقه وناوله الآلة: «بالطبع، يا ستيفن، لكن أهتم بها.»

لم تتذكر دونا يوماً أن تايلور نادى شقيقه باسمه.

أخذ ستيفن الغيتار محاولاً بكل جهد أن يمسكه بطريقة جيدة وبنعومة مد فرانك يده ليمسك به من عنقه وليساعد الطفل قليلاً.

سأل تايلور وهما يسيرون إلى الخارج: «هل أعجبتك، يا أمي؟»

«نعم كثيراً.»

سأل تايلور بشوق: «أية أغنية؟» محاولاً أن ينظر إليها وهو يسير نحو السيارة. وضعت يدها على كتفه وأجابت: «كلها.»

«لقد قدمت الأغنية الأولى لك.»

أرادت أن تمنع دموعها من التساقط، لكنها لم تستطع. فمسحت دموعها بيدها: «نعم، أعرف.»

لم يفهم تايلور لما والدته تبكي وهي سعيدة. فالدموع تعبر عن الألم: «أمي، لا يعقل أنك تبكين.»

تنفست بعمق، وابتسمت له. فكرت أنه بلا شك يكبر بسرعة: «آسفة، إنها العاطفة القوية. لقد أعجبتني الاغنية

كثيراً. شكراً لك.» من الآن وصاعداً أصبحت غرين سليفز تنتمي لهم جميعاً لها ولابنها تايلور. فالحياة تستمر دائماً.

عندما وصلوا الى السيارة، استدار تايلور نحو فرانك. ورمى بنفسه بين ذراعيه وقال: «شكراً.»

تفاجأ فرانك من عاطفه الولد الصادقة. ربت على كتفه: «لا تذكر ذلك، كما وأنني لم أفعل شيئاً، أنت كنت تعزف.»

لم يكن تايلور متأكداً من كل النجاح الذي أحرزه. قال: «أنت من علمني العزف. وأنت من جعلني أحضر.»

هز فرانك رأسه: «لا، أنت المسؤول عن كل هذا. لا أستطيع أن أرغمك على القيام بعمل لا تريد القيام به.»

وضع أصبعه على أنف الولد وقال: «تذكر ذلك.»

ضمه تايلور ثانية، فنظر فرانك عبر رأس تايلور إلى دونا وتساءل إذا كانت قد فهمت ماذا يعني.

الفصل الحادي عشر

سار فرانك إلى غرفته في الفندق، متعباً بعد مباراة في لعبة التنس. لقد اتصل به غريغ البارحة ليقدم له مفتاح النادي. فبامكان فرانك الذهاب إلى النادي طالما هو في سيتل. وبفرح اقنع فرانك دونا للذهاب معه.

فكر وهو وحيداً في سريره، انه لأمر رائع البقاء معها ولو انه كان طوال الوقت يلعب التنس. فلقد مضى عليه وقت طويل لم يتمرن هكذا، وكان اداؤها افضل منه بكثير.

وضع يديه تحت رأسه، واخذ يفكر بها. لقد تمكن من هدم معظم الحواجز بينهما، لم يكن الأمر سهلاً لكنها اصبحت تشعر بالسعادة، بقربه. وهي تضحك باستمرار طالما لا ينكر أي شي من ارتباط دائم بينهما. وهذا ما عليه تغيره الآن.

علم فرانك انه تمادى كثيراً، فالعطلة التي اخذها لمدة اسبوع واحد قد تجاوزت الشهر. وهو لا يتوقع من جانين ان تنتظر عودته. شعور بالذنب، جعله يمسك بالهاتف ويطلب رقم بيت جانين. ما ان دق الجرس مرة حتى سمع. «ألو.»

ابتسم فرانك ما ان سمع صوت ابنة شقيقه: «هاي، مولي، أنا خالك فرانك. هل والدتك موجودة؟»

أجابته بفرح واضح حتى عبر الهاتف: «هاي، خالي فرانك!»

تخيلها تحمل الهاتف بين كتفها واذنها محاولة ان تقلد والدتها بذلك.

«لا، أمي مازالت في العيادة، تعمل.» تحذير الأم الدائم سقط ما ان تكلمت الفتاة: «متى ستعود، يا خالي فرانك؟ اني مشتاقة لك ومنذ رحيلك، لم تعد تمكث والدتي كثيراً في البيت.» توقفت وكأنها ستذيع سراً خطيراً: «والدي يحاول جهده كثيراً، لكنه يطبخ لنا طعاماً لا يؤكل.»

فكر فرانك، كم هو سهلاً على الأطفال التأقلم مع الأمور. فقد تمكنت مولي بسهولة ان تنادي شاين بوالدي. وحتى منذ البداية. تساءل، هل سيتمكن تايلور وستيفن من مناداته والدي.

احساسه بالذنب زاد من تفسير كلام مولي: «والدتك مشغولة جداً هذه الأيام، أليس كذلك؟»

تنهدت مولي بطريقة جعلته يعتقد انه يتكلم مع امرأة عجوز وليست طفلة.

«طوال الوقت، فلقد غادرت الممرضة الأولى في الاسبوع الأول، والثانية قالت والدتي.» حاولت ان تتذكر الكلمات التي قالتها والدتها: «لا تعمل جيداً، ثم اتت واحدة جديدة. لكنها غادرت في اليوم التالي. والآن أمي لم تعد تأتي للغداء معي، وجدتي تقول انها اصبحت نحيلة أيضاً.»

كل مرة كان يتصل بجانين في العيادة، كانت تؤكد له ان الأمور تسير على اتم ما يرام. وهي في الواقع تشجعه على البقاء بسيتل. وهي تقول انها تستطيع تولي كل المهام، لما كانت تكذب عليه؟ لما لم تقل له كيف كانت الأمور تجري؟ الاحساس بالندم جعله يأخذ قراراً نهائياً.

«قولي لوالدتك عني انني عائد إلى البيت.» نهض على قدميه: «سأكون هناك غداً مساءً، إلى اللقاء، يا عزيزتي.»

كان سيقفل الهاتف عندما سمع صوتاً على الجهة المقابلة.

«انتظر، خالي فرانك، لا تقفل، يريد والدي التحدث معك.»

وضع الهاتف بين رقبته وكتفه، واخذ حقيبته من الخزانة ورماها على السرير. امسك صهره بالسماعة. فقال: «شاين؟ انت على الخط؟»

«هاي، ايها المتجول، كيف الأحوال؟ انتظر لحظة. اغسلي يديك، مولي فالعشاء جاهز. آسف انني معك.» قال لفرانك.

تساءل فرانك اذا الصوت الذي سمعه هو من مخيلته، أو ردة فعل مولي بالنسبة للعشاء.

قال فرانك: «السؤال هو كيف هي جانين؟ لقد اخبرتني مولي الآن ان الممرضات تتطاير في العيادة كالفراشات.»

من صمت شاين علم فرانك انه يختار بين الوفاء لزوجته وبين اخباره الحقيقة، لكن الحقيقة انتصرت.

«اجل، حسناً، لقد حضر إلى هنا ثلاث ممرضات والآن لا يساعدها احد، لكن انت تعرف جانين، انها عنيدة إلى ابعد الحدود.»

«نعم، وترهق نفسها حتى الموت.» بدأ فرانك: «لكن لماذا...؟»

ضحك شاين، من تفكير زوجته: «انها تريدك ان تأخذ الوقت الكافي لتحصل على زوجتك. فمنذ ان التقينا وهي تؤمن بالاحساس الداخلي، فهي تصدق انه قد تكون دونا قدرك.»

فكر فرانك. انه لأمر مؤسف ان لا ترى دونا ذلك. ولكن اذا كانت تؤمن بذلك أم لا، ان لديه مسؤوليات عليه القيام بها:

«حسناً، اذا كانت هي قدري، فستجد طريقها لتحقق ذلك. اخبر جانين انني قادم غداً.»

بدا الارتياح واضح في صوته: «هذا رائع، لكنك لا تبدو سعيداً، هل الأمور تسير كما تريد؟»

«هذا يعود إلى ما سيحصل، سأراك مساء الغد.»

قال شاين: «اتصل عندما تهبط الطائرة ساذهب لاحضارك من المطار.»

كان المطار في ريفردايل: «ليس هناك من حاجة، فالمسافة تزيد عن عشرين ميلاً.»

منعه شاين من متابعة الحديث: «هاي، انني من لوس انجلوس. تذكر؟ استطيع ان اقود عشرين ميلاً وانا مغمض العينين، اراك غداً يا صهري...»

«اجل، حسناً.»

اقفل فرانك الخط وتنهد وهو ينظر إلى حقيبته.

لن يسمح لشقيقته ان ترهق نفسها بالعمل حتى الموت لأنه يلاحق انوار قوس قزح، انه رجل واعي ولديه مسؤوليات جمة مسؤوليات ابتعد عنها لمدة طويلة.

سيذهب ليخبر دونا انه راحل. متمنياً لو تقتنع اخيراً ببناء مستقبل لهما معاً.

عندما وصل إلى منزل دونا، كان الجميع على العشاء، اسرع ستيفن يشده إلى المطبخ. متحدثاً بأسرع من العادة. تقدم فرانك من الكرسي الذي يجلس عليه عادة، شعر بألم خفيف في معدته. فهو لا يريد ان يسأل ويسمع من دونا جواباً بالرفض.

استدارت دونا في الوقت الذي دخل فيه فرانك، كانت

تحمل بيدها وعاء الدجاج المطهو على الطريقة الصينية.

قالت وهي تضع الوعاء على الطاولة: «هاي، لم هذا الوجه الغاضب؟ فأنا لا احمل عشاء من الثونة.» كان واضحاً انها سعيدة برؤيته. «بعد تلك المباراة، ظننت انك تستحق عشاءً شهياً لقد ربحته ست جولات.»

كانت عيناها تشعان بالحياة. فكرت انه بلا شك قد غير حياتها، فها هي تضحك من جديد وتنسى ولو لفترة قصيرة، تلك الأمور التي تسبب لها الحزن والمرارة.

قرر فرانك، انه قد يخبرهم برحيله بعد العشاء، كما وانه يريد التحدث مع دونا بمفردها، فالوقت الآن غير مناسب، حيث الجميع يلتف حول طاولة المطبخ.

ضربت ليزا بملعقتها على الكوب بجانبها، قاطعة الحديث المتداول على الطعام: «لدي اعلان يجب التصريح به، لقد نقص وزني ثماني باوندات.» ابتسمت وهي تسكب المزيد من الطعام في صحنها: «وانتم جميعاً تعلمون ماذا أعني.»

قال الجميع ضاحكاً: «المزيد من الشوكولا.»

قال فرانك بعدما انتهى الجميع من الضحك: «ستسعد بك كثيراً ابنة شقيقتي.» سكب لنفسه القليل من الطعام. كانت رائحته شهية، لكن لا رغبة له في تناول الطعام: «تحب مولي الشوكولا كثيراً.»

كان ستيفن يحاول ان يعلق المعكرونة بشوكته وهو يسأل: «كم تبلغ من العمر؟»

قال فرانك: «ستبلغ مولي السادسة في الثامن والعشرين من هذا الشهر.»

اعطت دونا ستيفن محرمة من الورق ليمسح بها الصلصة

عن ذقنه. لكن انتباهه كان موزعاً بين الطعام وابنة شقيقة فرانك قال وهو يشعر بالنصر: «هاي، انني اكبر، لقد ولدت في نيسان (ابريل) ونحن الآن في ايار (مايو).» نظر ستيفن إلى فرانك متأملاً: «هل استطيع مقابلة مولي يوماً؟»

«لا ادري.» نظر فرانك نحو دونا فرأى انها تنظر إليه بتفكير. «هذا يعتمد.»

صرخ تايلور متحمساً: «على ماذا؟»

«على والدتك.» لاحظ فرانك ان دونا اشغلت نفسها بتناول الطعام. اعاد انتباهه إلى الولدين: «يمكنكم الذهاب برحلة إلى ويلمنغتون فولز.»

فكر ستيفن بالأمر: «الا تستطيع مولي المجيء إلى هنا؟»

قد ترغب جانين الحضور إلى سيتل اذا بقي هنا، لكنه اتخذ قراره. فهو لا يستطيع البقاء هنا... فالحياة في ويلمنغتون فولز تستهويه. حيث كل شخص هناك يعرف الجميع، كما انه يستطيع رؤية المدينة الكبيرة بالانتقال إلى البلدة المجاورة ساعة يشاء وليس بالنظر من النافذة.

«اعتقد ذلك.» قال وهو ينهي الكمية القليلة التي سكبها: «لكن والدتها طبيبة في العيادة التي تملكها هناك. انه ذات المكان الذي اعمل فيه ممرض.» اخفى ستيفن فمه بيده. فهو مازال لا يصدق ان باستطاعة الرجل ان يكون ممرضاً. «تصبح الأمور اكثر صعوبة عندما نتركها لفترة طويلة.»

قال ستيفن: «آه، اعتقد اننا علينا الذهاب اذن.» استدار لينظر إلى والدته: «هل نستطيع يا أمي؟ ارجوك؟»

لقد فعلها ثانية، وضعها في نقطة الوسط. هزت كتفيها بخفة وقالت: «ربما في أحد الأيام.»

الصوت الغامض اخبره الكثير... اكثر بكثير مما يريد ان يعرف.

قال تايلور بحماس: «هاي، فرانك استأجرت والدتي فيلم فيديو جديد لذلك البطل القوي.»

حاول فرانك ان يبدي بعض الحماس في صوته: «الأمر جيد، لكن ربما بعد قليل. اريد ان اساعد والدتك بالتنظيف الآن.»

اسرع ستيفن بالقيام عن الكرسي ولحقت به ليزا التخفف من سرعة حركته وهو يتسابق مع شقيقه.

للحظة، ساد الصمت في المطبخ، وهو أمر معاكس تماماً لما يجري في الغرفة المجاورة. جمعت دونا الصحون واحضرتهم إلى الحوض لتغسلهم. احساسها بالفراح الذي عاشته في الأيام الأخيرة قد انتهى الآن. لقد اعتادت على وجوده وعلى السعادة التي اوجدها فرانك في حياتها، لأنها كانت تعلم انها مؤقتة ولا يتطلب منها أي التزام. كانت تشعر بالامان والسعادة.

لكن الآن انتهى كل شيء.

كانت تعلم أن ذلك سيحدث. ومنتظرة حدوثه، لكنه الآن هنا. أحست بفراغ عجيب ينمو بداخلها، فراغ يهدد بابتلاعها.

ابقت ظهرها اليه وهي تعمل: «لقد قررت الرحيل، أليس كذلك؟»

كان صوتها منخفضاً، لم يستطع فرانك ان يعلم بما تشعر. «أجل.»

انتهت من غسل الصحون لكنها بقيت تراقب تساقط المياه على اصابعها. سألته: «متى؟»

«غداً صباحاً، لقد اتصلت بجانين بعدما تركتك في النادي.» اقترب نحوها واغلق الحنفية.

رفعت دونا عينيها إليه: «و...»

«لم استطع التكلم معها.»

استدارت دونا لتواجهه، اخذت عيناه تبحثان في وجهها عن أية علامة تظهر ان رحيله يشكل فرقاً بالنسبة إليها، لو انه كان يضيع وقته على لا شيء؟ لا، انه متأكد انها تهتم به، لكن لايزال هناك حواجز بينهما. حواجز لم يستطع ان يخترقها. لقد حاول وعليه المحاولة ايضاً، لم يعد هناك من وقت امامه.

«كانت لاتزال في العيادة، وهي تمضي الليل كله هناك. لقد تكلمت مع مولي وعلمت ان جانين ترهق نفسها بالعمل لأن الممرضات اللواتي ارسلتهن الوكالة لم ينجحن هناك. وقال شاين انه لا يوجد من يساعدها الآن.»

مرت دونا من امامه لتصل إلى المنشفة نشفت يديها ببطء وكأنه ليس هناك شيء آخر يهمها. وكأن ليس هناك حرب تندلع بداخلها. اخرجت من صدرها نفساً طويلاً: «اذن، اعتقد انه من الأفضل لك ان ترحل.»

لم يستطع التصديق انها بالفعل تقول ذلك، لم يكن هناك أي شعور في صوتها، أي ندم. «فقط هكذا؟»

ابتلعت بصعوبة متمنية لو لا تشعر بكل هذا الجفاف بفمها، متمنية لو حنجرتها غير ممتلئة بالدموع، ابتسمت قبل ان تنظر اليه: «لا، لا بد انه افضل لك لو كنت في الطائرة الآن.»

تباً لها. لما تتصرف هكذا: «ليس الوقت مناسباً للمزاح.»

رمت المنشفة جانباً، غاضبة ان تشعر هكذا، غاضبة ان تحجز نفسها بين عالمين، تريده، وخائفة من الاحساس بالحاجة اليه. خائفة من الارتباط به. وهذا بسبب ألم لها لا تستطيع ان تتخلص منه.

هزت رأسها: «ماذا تريدني ان اقول؟ لا ترحل فرانك، ابقى معي ومع أولادي؟ لا استطيع القيام بذلك. انه ليس عالمك.» ان تطلب منه البقاء ليس عادل لكل منهما. فهي لا تعرف ان كانت قادرة على الزواج منه. فهي لا تعرف ان كانت قادرة على التخلص من القيود التي تحكمها.

ضمها إليه متمنياً لو يستطيع تخليصها من القيود التي تمنعها من القبول به. فهي تحبه، انه متأكد من ذلك ولو لم تقل ذلك، قال وهو يداعب شعرها: «يمكنك ان تأتي معي أنت والولدين، لفترة قصيرة فقط، عندها قد تقرري ان تبقي.»

كان يجعل الأمر اكثر صعوبة عليها: «لا استطيع القيام بذلك، أيضاً.» كان يعلم انه يحارب من اجل حياته هنا. كبرياؤه اعلمه ان عليه التراجع، لكن شيئاً آخر كان يشجعه ليستمر في اقناعها: «نحن لسنا متأخرين هناك كما تعتقدين.»

ابتعدت عنه: «اعلم ذلك. لقد اخبرتني كل شيء عنها.» اغمضت عينيها، حابسة دموعها، وعندما فتحتهما ثانية لمعت الدموع في عينيها.

«المشكلة ليست بالمكان، يا فرانك انما المشكلة بي انا.»

كان يتصارع مع طبعه، فلماذا تنكر شيئاً يعلمان معاً انه حب صادق وموجود؟ شعر بأن المرارة تملأ قلبه.

«انت من احب ان تأتي معي، انت حتى لا تعطي الأمر فرصة.»

كان يريد ان يهزها، يهزها حتى يعود المنطق إلى تفكيرها: «يستطيع الولدان ان يتأقلما بسرعة، ويلمنغتون فولز رائعة بالنسبة للأطفال، كما وانها تتغير باستمرار.» رأى ان كلماته لا تصل اليها. «ليس بذات السرعة التي تخطف الانفاس. فنحن نبقي الحيوانات في المخازن الآن. ولا نخرجها الا في ايام العطل فقط.»

رأت الغضب يلمع في عينيه وعلمت انها المسؤولة عن ذلك، زاد الذنب من حدة تحفظاتها، بدأ ذهنها يبحث عن عذر معقول. اي عذر؟

«لم اكن اعني انك مزارع. لكنني لا استطيع ان انزع نفسي من حياتي هكذا. فهناك مدرسة الولدين...»

«لقد شارفت السنة على آخرها.»

قالت متحدية: «وماذا عن اعمالي؟» لقد تعبت كثيراً كي تتخلص من الديون المتراكمة عليها، فالعمل هو الوحيد الذي ساعدها لتتخطى محنة طوني.

قال بغضب: «يمكنك نقل عملك، لا اعرف، تباً للأمر يمكن للأمور ان تترتب. اذا كنت تريدين ذلك فعلاً، واذا كنت تهتمين حقاً لنا.»

هزت رأسها وتنهدت بعمق، ليس هناك من حل، فالألم في قلبها سيبقى: «لن يكون هناك كلمة لنا.»

«لماذا؟ لماذا لن يكون هناك لنا؟» لو انها تعطيه جواباً مقنعاً، كان سيتركها بمفردها، ويبتعد عنها مهما كلفه ذلك من حزن وعذاب.

لكنه يعلم انها لا تستطيع اعطاءه سبباً مقنعاً. فمن خلال الخوف الظاهر في عينيها، يرى انها تريده بقوة مثله

تماماً، ماذا بامكانه ان يفعل حتى ترى ذلك؟ أي كلام يستعمل حتى يوضح لها الأمر؟ بصبر وهدوء، حاول ثانية: «انني من الثانية والثلاثين من عمري، يا دونا وانني لم اسأل يوماً امرأة كي تتزوجني، فنحن لا نعيش في مجتمع مغلق، حيث يرى المرء نفسه غير كامل بلا زوجة وعدة اولاد وانا لدي الكثير من الأمور لتجعل حياتي سعيدة ومليئة.»

رفع شعرها عن وجهها ونظر مباشرة في عينيها: «انني اطلب منك دونا...»

ارتعشت من كثرة الألم، بسرعة ضغطت بأصابعها على فمه كي تسكته: «لا، لا تفعل.»

دفع يدها بعيداً، والغضب يلمع في عينيه: «لا افعل ماذا؟ لا اطلب منك الزواج؟ لا احبك؟ ماذا؟»

ضغطت دونا على شفتيها بقوة، خائفة ان تبكي: «لا اريد ان احبك، فرانك.»

«لا اعتقد ان الحب شيء يمكنك فتحه واغلاقه ساعة تريدين، الذي اعتقده انه يحدث معك فتشعرين به أو لا.» رأى الحزن في عينيها وشعر بالذنب لأنه يسبب لها كل هذا الحزن. لكنه لا يستطيع، كان غاضباً منها، غاضباً لأنها تنكر وترفض شيئاً رائعاً: «بالطبع لم اكن اتوقع ان احب، لكنني فعلت ومعك. شعرت به منذ اللحظة الأولى التي رأيتك فيها، فقط لم اعلم كم هو صادق وكم سيدوم هذا الحب، وهذا ما كنت احاول اكتشافه.» نظر اليها برقة فهو لن يحب احداً بالطريقة التي احبها فيها: «والآن عرفت كم احبك.»

لم تكن تريد ان تسبب له الألم، لا تريد ان تأذي أحداً. «انه الاعجاب.»

علم ماذا تفعل ولن يسمح لها بالهروب منه هكذا: «الاعجاب أمر رائع. لكنني مررت به منذ ثلاثة اسابيع، دونا انا احبك، حب قوي وصادق، لكنك تستمرين بالهروب من المنطق.»

ارادت ان تمسك بشيء حتى تشغل نفسها، بدأت تضع الصحون مكانها، لكنها بالكاد كانت تعرف ماذا تفعل: «اذا احرقت يدك مرة، فلا تستطيع ان تمسك عيدان الكبريت ثانية.»

كيف يمكنها ان تقول هذا؟ الا تدري ماذا كانت تفعل كل هذه الاسابيع الماضية؟

«لكنك فعلت يا دونا.»

قالت بهدوء: «اجل فعلت مرة واعتقدت انني حصلت على الحياة التي احلم بها، لدي ولدين رائعين وعمل جيد وناجح وزوج أحببته كثيراً.» لم تعد تستطيع الكلام فلقد احست وكأن شيئاً بداخلها يتفجر، لقد حان الوقت لتخبره الحقيقة. لتدعه يعلم أية امرأة هي وبمن اغرم.

استدارت لتنظر اليه، والدموع حارة في عينيها: «هل تعلم كيف مات زوجي، يا فرانك؟»

كان صوتها فارغاً بلا صدى. وهذا ما اشعره بالغرابة: «لا.»

«لقد قتلته.»

لم يستطع فرانك الا التحديق بها: «انت؟» لا يمكن ان تكون هذه الحقيقة.

«نعم.» وابعدت نظرها عنه مترددة، لكنها الآن وصلت إلى مكان لا تستطيع التراجع عنه. «لقد استلم طوني العمل

بعد وفاة والدي. كانت لديه احلاماً كبيرة. طائرات كثيرة تحمل اسمنا عليها.» ابتسمت بحزن «كان هذا يرهق ميزانيتنا.» ما ان تفوهت بذلك حتى اغمضت عينيها كي لا تبكي.

«كل مرة كنت اسأله عن العمل، كان يطلب مني ان لا اقلق، وان الأمور تسير إلى الافضل، لم اعلم فداحة الأمر الا عندما وصلنا انذار من المصرف باغلاق العمل كله. فوقع بيننا شجار كبير انفجر غاضباً وغادر البيت، لم احاول ان اوقفه. ولم يرجع طوني إلى البيت في تلك الليلة.» اعادت نظراتها إلى فرانك: «لم تهدأ اعصابي كل الليل، لذلك لم اذهب للبحث عنه. وكان يجب عليّ القيام بذلك. آه، اجل كان يجب ان افعل ذلك.»

اغمضت عينيها، لكن الأمور ساءت اكثر. فلقد رأت طوني في مخيلتها. وبوضوح، ارتعشت من الخوف وفتحت عينيها: «ذهبت إلى المكتب صباحاً ولقد... كان... هناك... كان هناك ملقياً على الأرض جثة هامدة.» غطت فمها بيدها كي لا تصرخ. وعندما اقترب فرانك منها ليمسكها ابتعدت عنه. هزت رأسها بعنف، يجب ان تقول له كل الحقيقة.

«لقد ترك لي ملاحظة، يقول فيها انني كنت على صواب. وانه اخطأ في ادارة العمل، وانه يخجل من مواجهتي.» غصت بدموعها: «وبهذه الطريقة، لن يواجهني.» اهتز صوتها وهي تكمل: «لقد قدته إلى ذلك. الا ترى؟ لا استطيع الزواج مجدداً... لقد قتلته.»

بقي فرانك مكانه، يشعر بخيبة الأمل، راغباً ان يجعلها تفهم كم هي مخطئة. فقال لها: «لا دور لك بما قام به،

بضعفه، لقد قام بذلك بارادته فلا دخل لك. رجل آخر كان قد حاول ان يجد طريقة ما.»

شعرت بالدفاع عن ذكرى زوجها: «كان طوني رجلاً رائعاً.»

شعر باليأس يثقل عليه: «لم اقل انه ليس كذلك، انني فقط اقول انني أيضاً جيد وانني استحق فرصة يا دونا. كلانا يحتاج لهذه الفرصة.»

هزت رأسها: «لا استطيع المخاطرة. لا استطيع ان احب مجدداً، كما وانني لا استحق ان يحبني احد، فقط اذهب.» استدارت وتابعت وضع الصحون في مكانها.

شدها فرانك اليه بقوة وبغضب، محاولاً ان يكرهها. لكنه لم يستطع فلقد ضمها اليه نادماً على كل اللحظات السعيدة التي لن يحصلا عليها. وعلى الاطفال الذين لن يحصل عليهم وعلى الحياة التي لن يعيشاها معاً. ثم ابعدها عنه وهو يشتم، محاولاً ان لا يتأثر بالدموع في عينيها «يجب ان اودع الولدين.»

خرج من الغرفة بدون ان ينظر وراءه.

* * *

حاول فرانك ان لا يفكر بالتعابير التي شاهدها على وجهيهما، لكن تلك التعابير لاحقته طوال الرحلة وهو عائداً إلى البيت. وبقيت محفورة في ذاكرته بعد ذلك. لقد امضى اكثر من اسبوعين وهو يشعر أنه لم يعد إلى طبيعته بعد، لم يتمكن من الهروب من ذكرى وجه تايلور وستيفن الحزينتين.

قال ستيفن عندما ضمه فرانك اليه مع تايلور في غرفة الجلوس ليخبرهما انه راحل: «لقد اعتقدت انك ستبقى هنا وستصبح أباً لنا.»

قال تايلور: «اجل.» علم فرانك ان الصبي لم يتمكن من زيادة كلمة واحدة لأنه صوته اختفى من شدة الحزن.

مرر فرانك يده بشعر ستيفن، شعر يشبه كثيراً شعر دونا. وجد من الصعوبة توديعهما واكثر بكثير مما كان يظن: «يجب ان اعود إلى العمل، يا شباب.» حاول ان يبقي صوته هادئاً: «لقد بقيت مدة اطول بكثير مما كنت اريد.»

وضع ستيفن يديه حول رقبة فرانك وضمه اليه بقوة: «لا تذهب، فرانك ليس عليك العودة إلى العمل. سندفع لك لتبقى هنا.»

حاول فرانك جاهداً ان لا يظهر عاطفته، كان يشعر بأن قلبه يعتصر من الألم: «ليس المال هو السبب يا ستيفن... لدي الكثير من المسؤوليات.»

لكن ستيفن لم يفهم، كل الذي يعرفه ان فرانك سيرحل وهو لا يريد ذلك: «الا تستطيع التخلص منهم؟»

تنهد بقوة، فحتى لو تمكن من ذلك. لن يكون الأمر سهلاً، لقد رفضته دونا ورفضت أي ارتباط لهما معاً: «لا، بعض المسؤوليات لا يمكنك التخلص منها.»

ابعد ستيفن عنه ببطء ونهض. علم ان دونا في غرفتها. فلقد سمع باب غرفتها يغلق. «اريد منكما ان تتصرفا بطريقة جيدة مع والدتكما وان تهتما بها وبعمتكما ليزا. حسناً؟»

اومآ برأسيهما ولم يتكلم أحد منهما، فتح فرانك يديه جيداً فاسرعا بالانضمام اليه. للحظة امسك بهما جيداً

بعدها وببطء ابعد يديه عنهما: «لا تنسيا، استمرا في التمرين، وانا اتوقع انك ستقرأ كتباً كبيرة، يا ستيفن، عما قريب.»

سأل تايلور فجأة، متأملاً: «هل ستعود.»

كذب فرانك وهو يقول: «بالطبع سأعود.»

رافقته ليزا إلى الباب. وضعت يدها على ذراعه: «سأكلمها بشأنك.»

هز فرانك رأسه وابتسم للمرأة التي اصبحت صديقة له. «لا، شكراً لك على هذا العرض، لكن هذا شيء يجب ان تقوم به بنفسها، لن تكون الأمور جيدة بيننا اذا حاول احد اقناعها. فأنا لست حيواناً في سيرك وانت ستكلمينها لتهتم بي.»

لمست ليزا خده، وفكرت ان دونا تبعد عنها افضل رجل. الغبية. نظرت نحو غرفة دونا وتابعت: «مازالت تشعر بالألم.»

كان يعلم ذلك، لكن لا بد من دفن الحزن القديم ليستطيع الانسان الاستمرار في الحياة. «الألم لا يزول بسهولة ان لم ندفنه.»

هزت ليزا رأسها: «سأخبرها انك قلت ذلك. اي شيء آخر تريدني ان اقوله لها.»

فتح الباب وهو يقول: «اجل، فهي تعلم رقم هاتفي.»

فكر وهو يضع ورقة نظيفة على طاولة المعاينة. ويمسك بالورقة السابقة، ان دونا تعلم رقم هاتفه فلقد اعطاها اياه اكثر من مرة. لكن ربما لم تحتفظ به، أو ربما لا تريد ان تستعمله.

«هل بقي قليل من القهوة، يا فرانك؟»

استدار فرانك ليشاهد جانين تدخل الغرفة: «فقط القليل، كنت سأشربها لتساعدني على القيادة لأصل إلى النادي.»

كانت تراقبه لفترة قبل ان تدخل. قلبها يذوب لأجله، فهي لا تتذكر انها شاهدت فرانك مرة حزيناً هكذا. وكأنه شخص آخر قد عاد من سيتل. شخص يشبه ذلك الشاب المليء بالحيوية والفرح الذي نشأت وكبرت معه.

«رائع. هذا ما اريده.» سارت نحو خزانة صغيرة حيث يحتفظان بوعاء القهوة. «اتريد ان تشرب معي؟»

تنهد وهو يرمي الورقة في سلة المهملات: «بالطبع، لما لا؟» تبعها إلى الغرفة الأخرى.

سكبت له فنجاناً وواحداً لها، بدت القهوة وكأنها مجمعة في قعر الفنجان، امسكت بالفنجان لتشرب منه لكن عينيها بقيتا على شقيقها.

«كان هذا المريض الأخير لليوم. ووالدتي قد ذهبت إلى البيت كما ان لدي بعض الوقت، اتريد ان نتحدث؟»

لا، لا يريد ان يتكلم، لا يعلم ماذا يريد. لقد مر عليه اسبوعان وما زال يشعر بالغربة في بيته.

ابعد فنجانه من غير ان يتذوق منه شيئاً: «لا، لما لا تذهبين إلى البيت بينما انظف العيادة؟»

«انها نظيفة، يا فرانك.»

وضعت جانين فنجانها جانباً: «لقد وصلت إلى قلبك، أليس كذلك؟»

لم يتكلم ولا كلمة عن المرأة التي تركها وراءه منذ عودته. وعلمت جانين ان هذا يجعل الأمر اكثر خطورة. فهي وفرانك يتصارحان دائماً، وبكل الأمور.

تنهد وسار نحو النافذة، شاهد طائرين يلاحقان بعضهما: «اجل، لقد فعلت.»

وضعت جانين يديها في جيبي معطفها الواسع: «اذن ماذا تفعل هنا؟»

هز كتفيه، وبقي ينظر إلى الطائرين: «انت بحاجة لي.»

تقدمت نحوه ووضعت يدها على كتفه: «لا تضع الأمر عليّ، فرانك انك جيد، لكن مما لا شك فيه استطيع ان اجد من يشغل مكانك.»

شدت قليلاً على اسنانها وتابعت: «مع ان البحث سيكون طويلاً وضعباً.»

ابتسم وقال: «شكراً. تأجيل المشكلة لا يحلها، فدونا لا تريد علاقة دائمة، لقد قالت لي ذلك بكل وضوح.»

فكرت جانين بكلامه لفترة: «اتكلم كأخصائية، فرانك، انك اذا تزوجت امرأة غبية، فلديك خمسين بالمئة من الاحتمالات ان تحصل على اطفال اغبياء. وهناك مئات الادلة على ذلك.»

ابتسمت له، والحب يشع من عينيها، تتمنى لو تستطيع التخفيف عنه. «ولا بد ان تكون غبية لترفض شخصاً رائعاً مثلك.»

أمسك شعرها بالطريقة ذاتها التي كان يمسكه عندما كانا صغيران: «شكراً يا عزيزتي.» تنهد، فالحياة تستمر. ولا يهم كيف نشعر تجاهها.

«لا تقلقي عليّ، الأمور تسير دائماً إلى الأفضل.»

قالت بحب: «هذه احدى الجمل المأثورة لوالدي.»

«والدي دائماً على حق.» نظر إلى ساعته: «لقد قلت

لأصدقائي انني سأراهم في داكوتا.» قال لها هو يقصد الفرقة الموسيقية والنادي الذي يعزف فيه في البلدة. «من اجل مصلحة المالك، تريدين الحضور انت وشاين ومولي؟ ربما سنسمح لمولي ان تغني قليلاً الليلة.»

ضحكت جانين، فابنتها تحلم ان تحقق نجاحاً بعالم الغناء.

«اعتمد على ذلك.» ضمته بحنان: «ستسير الأمور على احسن ما يرام، فرانك لدي احساس قوي بذلك.»

أومأ برأسه موافقاً، من اجل ارضائها، فهو ليس متأكداً من ذلك، مثلها.

الفصل الثاني عشر

كان الجو العام في داكوتا مريحاً جداً لفرانك. فالأنوار خافتة والهواء العابق كثيف ومنعش. جلس بجانب الالات على المسرح الصغير الذي وضعه جيمي، المالك، في الليالي التي تؤمن التسلية والغناء. بدت الفرقة سعيدة بحضوره عندما سار نحوهم. لأنه تردد في المجيء حتى اقنعه جوفاريزر بذلك.

لا يمكنه البقاء حزيناً إلى الأبد. أليس هذا ما قاله لدونا؟ ان عليها أن تدفن الماضي وتنظر إلى المستقبل؟ مع ذلك، شعر بالراحة وهو جالس بين الظلال متخيلاً انه ما زال معها.

أتت الأغنية إلى فكره من دون أن يدري. وكأن لا خيار لديه، بدأت اصابعه تعزف أغنية غرين سيلفز. تبادل جو، قائد الفرقة، النظرات مع الرجال الثلاثة في الفرقة. فتلك ليست أغنية الافتتاحية، هز كتفيه وتابع معه وبعد لحظة انضم الجميع إليه. بدأ فرانك الغناء، بصوته الجهوري معبراً عن ألمه وحزنه على حبه الضائع.

ساد الهدوء القاعة فالجميع صامت يصغي. فتح باب النادي فظهر نور الشارع ليمحي ظلام القاعة. نظر فرانك فرأى جانين تدخل تسبقها مولي وشاين معهما.

اخطأ فرانك بالعزف. كان هناك ثلاثة أشخاص مع جانين.

www.elromancia.com

لم يدرِ كيف استطاع الاستمرار في الغناء أو الاستمرار في عزف الاغنيتين التاليتين. عزف وكأنه يعزف في حلم. وربما كان كذلك حقاً فربما ما زال نائماً وقد تهيأ وجودها في مخيلته.

فهذه ليست المرة الأولى. تمتم فرانك في الميكرفون: «سيداتي سادتي، سنتوقف لفترة قصيرة.» وبعناية وضع غيتاره بجانب الالات الباقية: «سأعود بعد عدة دقائق.» قال هذا للرجال خلفه، لأنه كان ينظر إلى الأمام.

وكالرجل الذي لا يدري إن كان نائماً أم مستيقظاً، سار فرانك نحو إحدى الطاولات في النادي. الطاولة التي تجلس دونا عليها.

لم تنتظر مولي ليصل خالها إليهم فقد بدأت تتمايل على كرسيها. والفرح والاثارة تشع من عينيها: «قالت أمي انك ستسمح لي أن أغني الليلة، يا خالي فرانك، أليس كذلك؟»

«ربما بعد قليل، عزيزتي.» وحتى قبل أن يجيب، كان فرانك محاطاً بالأيدي على خصره وعلى القسم الأعلى من صدره، كاد ستيفن أن يقع عن كرسيه وهو يرمي بنفسه على فرانك. حس بالعاطفة تملأ روحه مع انه ما زال غير مصدق. وضع يداً على رأس كل ولد وقال: «كيف حالكما ايها الشباب؟»

قال ستيفن معلناً: «بحالة مزرية، لقد اشتقنا إليك كثيراً، فرانك.»

اعترف تايلور: «أجل، لم تكن الأمور على ما يرام من دونك.»

«حسناً، لقد افتقدتكم كثيراً، أنا أيضاً.» وضع ذراعه حول كل ولد الآن ونظر عبر الطاولة إلى دونا. كانت ترتدي ثوباً من قطعتين ذات اللون الأبيض، كانت تبدو رائعة بل أكثر من رائعة. فهي تشبه الحلم الذي أزهر في الحياة. لكن الأحلام لا تتحقق هذا ما ذكر نفسه به. ببطء مد يده مصافحاً وقال بطريقة عادية: «أهلاً، دونا.»

«أهلاً، فرانك.»

شعر بصوتها، مثل كوب من الشاي الساخن محلى بالعسل في يوم مثلج: «ما الذي أتى بك إلى هذا المكان البعيد عن الحياة؟»

«ذات الشيء الذي أحضر الولدين.»

ابتسامة مألوفة ظهرت على وجهه: «طائرتك الصغيرة.»

تساءلت، ألا يعلم لما هي هنا؟ ألا يستطيع أن يرى؟

فقدت جانين صبرها وهي تشاهد وتسمع ما يجري أمامها، فانهما يتصرفان وكأنهما مسلحان في معركة. انهما بحاجة إلى بعض الخصوصية. استدارت جانين نحو زوجها: «شاين، لما لا تختار لنا بعض الأغاني للرقص؟ ربما فرانك ودونا يريدان أن يرقصا.»

تطوع ستيفن قائلاً: «لم تعد أمي ترقص، ومنذ زمن طويل، وربما إلى الأبد.»

فكرت جانين، ربما منذ وفاة زوجها. ابتسمت إلى دونا توآسيها فهي لم تكن أرملة من قبل. لكنها تعرف كيف تشعر المرأة عندما تجد نفسها مع اولاد عليها الاهتمام بهم بمفردها.

«إذن لقد حان الوقت لتفعل ذلك ثانية.» أمسكت جانين

بيدها ما ان سار زوجها نحو علبة الموسيقى. كانت أصابع دونا باردة كالثلج.

بدأت الموسيقى تصدح عبر القاعة. موسيقى ناعمة وعاطفية. ابتسمت جانين، مسرورة: «آه، لقد وجد أغنية رائعة.» نظرت إلى شقيقها: «فرانك، اعتقد انه جاء دورك.»

هز رأسه لشقيقته، ولكن عينيه بقيتا على دونا: «انها دائماً متزعمة.» مد يده إلى دونا: «أتريدين الرقص؟»

أمسكت بيده ووقفت: «نعم.»

ابتسم وهو يسير معها إلى المساحة الصغيرة المقررة للرقص. ضمها إليه، شعر بعطرها يملأ احساسه ففكر في أوقات الربيع وفي بدايات جديدة.

قالت تشجع نفسها، قولي أي شيء، لقد تحمست كثيراً لتأتي إلى هنا. مغيرة تنظيم حياتها واضعة نفسها في طائرة وحاملة حياتها بيدها لأنها عادت إلى المنطق أخيراً. وها هي هنا الآن، ترقص معه وهي صامتة.

«لم أكن أعلم انك تغني.» لم يكن ذلك مهماً، لكن كبداية لا بأس بها.

«هناك أمور كثيرة عني لا تعرفينها.» توقف منتظراً أن تقول شيئاً وعندما لم تفعل قال: «ماذا تفعلين هنا؟»

أحست بأعصابها تشتد. شعرت وكأنها تقترب من الخاتم النحاسي لكن فجأة لم تعرف إذا كانت ذراعيها تصل إليه. ماذا لو رفضها؟ فلديه كل الحق بعد الطريقة التي تصرفت بها.

اجابته: «ارقص.»

«وماذا أيضاً؟» كان يشعر بخفقان قلبها، وبارتجاف جسمها.

تابع كلامه: «حسناً، لنبدأ بشيء أسهل. كيف عثرت علي؟»

هذا تستطيع الاجابة عنه بسهولة: «لقد كنت محقاً، انها ليست ببلدة كبيرة لقد سألت عنك احدهم فدلني أحد على المكان الذي تعيش فيه. رأتني جانين أقف عند الباب، فقالت انك لست في البيت.» ضحكت وهي تقول: «لقد عرفت من أكون، لا بد ان ستيفن وتايلور أجبراني على المجيء.»

«لا بد من ذلك.»

لماذا هو هادىء هكذا؟ هل تريد أن تبدو غبية؟ تابعت دونا: «لقد عرضت علي ان تحضرني إلى هنا.» شدت على شفتها السفلى، باحثة عن شجاعتها: «ان تحضرنا إلى هنا.»

رفع حاجبيه وقال: «حسناً، والآن أتى وقت دفع الدين.»

انتهت الاغنية، لكن بدأت أغنية ثانية على الفور، فكر فرانك ان شاين قد حجز لأكثر من أغنية، علم فرانك ان لديه الوقت الكافي لرقصة جديدة، قبل أن يعود للانضمام إلى الفرقة، لذلك تابع كلامه: «لما أنت هنا؟»

تمنت لو انه يعفيها من كل ذلك: «هل عليك أن تسأل؟»

«نعم، بالطبع.»

اجابت دونا: «اعتقد انني استحق ذلك.» تنفست بعمق، لكن الكلمات لم تحضر. التقت عيناها بعينيه. لم تستطع قراءتهما، لم تعرف إذا كان مرحب بها بعد: «لن تجعل الأمر سهلاً علي، أليس كذلك؟»

كان النادي مليئاً بالناس، حتى ولو في ليلة الجمعة،

ولكن لم يكن يرى غير دونا. فكل ما يراه هو فقط دونا. ومع ذلك، لن يسمح لنفسه أن يذهب بعيداً بخياله هذه المرة. يريد أن يكون متأكداً جداً قبل أن يسمح لنفسه بالحلم مجدداً.

«هل يجب علي ذلك؟ فكما أتذكر، لم يكن وداعنا حبياً على الاطلاق.»

لا، لم يكن كذلك فلقد رمت بنفسها على السرير، محاولة أن لا تبكي وهي تسمع باب بيتها يغلق، بعدها أمضت أياماً عصيبة محاولة أن تتخطى الأمر. محاولة أن تستعيد حياتها السابقة. لكن لم تستطع أن تسترجع ذلك. فعاشت بجانب الهاتف على أمل ان يتصل.

«لم تتصل بي أبداً.»

«لا، لم أفعل.» كان يترنح بكسل على أنغام الموسيقى، محاولاً أن لا يتأثر بوجودها. محاولاً أن يقنع نفسه انه يستطيع المقاومة هذه المرة وهو يعلم ان كل ذلك كذب: «لقد أردت أن أتصل، لكن الخطوة التالية يجب أن تقومي بها أنت.»

اومأت برأسها موافقة ونظرت إليه، تريده أن يفهم كم بذلت من مجهود لتأتي إلى هنا وها هي تخاطر بشعورها ثانية لأجله: «لقد فعلت.»

شد بأصابعه عليها أكثر: «و؟»

تنهدت بعمق. انه يريد منها اعترافاً صريحاً، أليس كذلك؟ «انني هنا أتفرج على ويلمنغتون فولز.» تلعثمت وهي تتابع: «انك على حق، انها رائعة.»

«هل تقومين بمحاضرة مصورة لعملك ام ان هناك شيء دائم للمستقبل القريب؟»

ان الاعتراف أمر مخيف، لكن عليها القيام به، فليس هناك من طريقة أخرى. وفي النهاية هي سبب الخلاف بينهما.

«بصورة دائمة، لقد فكرت كثيراً بما قلته ولقد كنت محقاً.»

هيا، دونا لقد وصلت إلى المهم. ومثل غطاس ماهر قالت: «فرانك، عندما غادرت، لم يعد شيئاً كما كان من قبل. استمر الولدان بالذهاب إلى المدرسة وأنا بقيت أعمل. كما ان ليزا تحسنت صحتها وعادت انجيلينا. لكن لا شيء، لا شيء كان مهماً أو مشوقاً في حياتي أو في بيتي.»

شعر بالشوق إليها يكبر. لكنه أجبر نفسه على الاصغاء. قالت بهدوء: «كان الأمر وكأن موتاً جديداً قد حصل. لم يعد هناك أي ضحك أو فرح، ولم يفعل الولدان شيئاً غير الحديث عنك، وبصورة دائمة.»

ضحك فرانك وهو ينظر إلى الطاولة. كان يبدو ان جانين وشاين يتمتعان برفقة الأطفال الثلاثة. أحب الصورة التي يراها.

«لدي طريقة بالدخول إلى قلوب الناس.»

«أجل، بالطبع لقد دخلت إلى قلبي.»

أمسك بيدها، وشدها إلى صدره: «كيف؟» سأل بنعومة: «كيف دخلت إلى قلبك؟»

فكرت، انه يريد أن يسمعها تقول ذلك: «تريدني أن أقولها لك؟»

فقط لمرة واحدة. فهو بحاجة إلى أن يسمعها. يسمعها

تقول انها تحبه كرد على الحب الكبير الذي يكنه لها: «نعم.»

نظرت دونا حولها. كان هناك العديد من الناس والمكان مزدحم بما فيه الكفاية: «أمام كل هؤلاء الناس؟»

«نعم، يمكنك أن تستعملي الميكرفون.»

كان يعتقد انه يمازحها. وتفاجأ عندما ابتعدت عنه.

عمل موفق فرانك هاريغاين، لقد تمكنت من ذلك، لقد تمكن من الفوز بها أخيراً.

أسرع فرانك وراء دونا، بعدها توقف عندما رأى انها ليست عائدة إلى الطاولة. بل عوضاً عن ذلك، كانت تسير باتجاه المسرح. كان يراقبها وهو غير مصدق. أمسكت الميكرفون. حاول جو أن يمنعها، لكنها لوحت له بصلاحية المرأة التي لديها مهمة عليها اداءها.

لم تكن جيدة في التعبير عن عواطفها لكنها لن تستطيع أن تخسره ليس للمرة الثانية. استجمعت كل شجاعتها، ونظرت إلى بحر من الوجوه التي لا تعرف أحداً منها، تلك الوجوه التي ستصبح واحدة منهم: «اني أحبك، يا فرانك هاريغاين ولقد كنت مخطئة، انك على صواب.»

ساد الصمت لدقيقة قبل أن ينفجر الجميع بالضحك والتهاني جواباً لاعلانها.

بعض الناس وراء فرانك ربتوا على كتفه، أحدهم اقترب منه وقال: «مبروك، انها رائعة بلا شك.» لم يعلم من قال له ذلك. كل الذي كان يدركه ان دونا تسير نحوه.

رفعت دونا شعرها وهي تنظر إليه. يشع النصر في عينيها: «هيا، لقد قلت ذلك.» وتابعت بنعومة: «وانني أعنيها.»

كان يدرك ان الحشد بجانبهما يزداد: «ما الذي غير رأيك في النهاية؟»

«لقد فكرت بما انني اتعذب من بعدك فلما لا أشعر بالسعادة بقربك.»

قال: «وماذا عن أعمالك؟»

هزت رأسها مستغربة، فما زالت لا تفهم كيف تحولت الأمور. «هذا أكثر الأمور غرابة. فلقد أتى كل من القبطان الرئيسي والميكانيكي بمفرده إلي خلال ساعات. يقولان انهما تعبا من العيش في مدينة كبيرة، وانهما يفكران في الانتقال إلى مكان أكثر هدوء. مكان ما أو بلدة حقيرة في شمال كاليفورنيا.»

ابتسمت وهي تتابع: «أشعر وكأن هناك من يريد أن نلتقي.»

لمس وجهها بأصابعه فشعرت بحبه يطفو من لمسته: «اني متأكد ان كل شخص هنا يريد ذلك أيضاً.»

كانت ممتنة لذلك، ممتنة كثيراً: «سأنقل مكتبي الرئيسي إلى ريفردايل.» أخذت دونا نفساً عميقاً وتابعت: «والآن، إذا كان ذلك المركز الذي عرضته علي منذ اسبوعين ما زال خالياً فيسعدني أن أشغله.»

نظر إليها مستفهماً: «أي مركز؟»

هل غير رأيه؟ بدأت الشجاعة تخونها وهي تتساءل ان كانت قد عرضت مستقبلها إلى الخراب بسبب انها لم تفكر مطلقاً انه سيرفضها، وفي النهاية هذا المكان العام غير مناسب أبداً لتخذل: «زوجة.»

ضحك بصوت عالٍ فلم يعد هناك من مجال ليحافظ على

هدوئه: «انه ما زال خالٍ وكان سيبقى كذلك... حتى تملئينه بنفسك.»

وعندما ضمها إليه ليقبلها، كان فرانك محاطاً بعدد كبير من سكان ويلمنغتون فولز، كذلك بولدي دونا وبابنة شقيقته لكنه لم يلاحظ أحداً منهم.

كل الذي كان يشاهده هو دونا. واحساس بألوان قوس قزح تنتشر أمامه وبداخله.

تمت

www.elromancia.com
مـــرمـــوريـــة